TAL5IS.COM
TAL5ISCOM twitter
TAL5ISCOM Instagram
مُقَرَّرُ التوحيد
المستوى الثالث - كلية الشريعة
الانتساب المطور - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
Google play
Available on the App Store

مقرر التوحيد (عقد١١١)

المستوى الثالث - كلية الشريعة

الانتساب المطور - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الإصدار الثالث ١٤٣٨ هـ (نسخة منقحة ومزيدة)

الأستاذ المساند /د. رياض بن حمد العُمري .

مؤسسة دار تلخيص

المملكة العربية السعودية - الرياض

920005906

Email: info@tal5is.com

www.tal5is.com

جميع الحقوق محفوظة

يسمح بطباعة هذه المذكرة لمن يحتاجها للاستخدام الشخصي دون التجاري

نسعد باستقبال آرائكم ومقترحاتكم وطلباتكم من النسخة الأصلية لمذكرات تلخيص عبر وسائل التواصل التالية:

0570700501 tal5iscom tal5iscom

(عقد١١١)

مقرر التوحيد

الأستاذ المساند /د. رياض بن حمد العمري

المستوى الثالث – كلية الشريعة - انتساب مطور – جامعة الإمام

مفردات المقرر

مقدمة حول الإسراء والمعراج

الحوض

مقدمة حول الشفاعة

شروط الشفاعة المثبتة

أنواع الشفاعة المثبتة

التوسل

مقدمة حول دعاء غير اللَّه

حكم الحلف بغير اللَّه

مقدمة حول الميثاق

علمه تعالى بأهل الجنة والنار وأعمالهم

مقدمة حول القدر

الألفاظ الكونية والقدرية

مصادر التلقّي عند أهل السنة والجماعة

العرش والكرسي

إثبات العلو لله تعالى

مسألة التكفير

الباب الأول

الإسراء والمعراج

صفحة 5

الإسراء والمعراج

الحلقة ١

إن ما يسميه المتكلمون بالمعجزة؛ دليل صحيح على صدق نبوة الأنبياء عليهم السلام، **ولكنها ليست هي الدليل الوحيد** وإنما الأدلة على صدق نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كثيرة جدا.

فالإسراء والمعراج آيتان أيّد الله بهما النبي ﷺ، وجعلهما من دلائل نبوته. وامتُحِنَ بها المشركون وصحابة النبي ﷺ الذين أسلموا معه.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأتون بما تحار فيه العقول، لكنهم لا يأتون بما تحيله العقول، وهذا هو موطن الإيمان بالغيب، وموطن تصديق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونعني بالعقول (العقول الصحيحة السالمة من الأهواء والشبهات).

أما العقول التي أصابها ما أصابها من اللوث؛ فهذه عقول تصدق بما لا يجوز التصديق به، وتكذب بما لا يجوز التكذيب فيه، وانظر إلى ما جرى للنبي ﷺ من الإسراء والمعراج، وقارنه بما حصل في هذه الأزمنة من سرعة الانتقال من محل إلى محل، فهذا دليل على أن العقول السليمة لا تمنع من مثل هذا ولا تحيله.

---

١ تعريف الإسراء والمعراج:

التعريف اللغوي:

الإسراء: من سرى وأسرى ، وهو: السير بالليل والمشي فيه. يُقال: سرى القوم ليلهم إذا مشوا، ويقال: سرى القوم بمعنى أنهم ساروا ليلا.

المعراج: مفعال من العروج ، وهو الذهاب في الصعود والارتفاع ، والمعراج مفعال منه.

التعريف الاصطلاحي:

الإسراء: هو الانتقال بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلا على دابة بين البغل والحمار، تسمى [البراق].

المعراج: هو الآلة التي عُرِج بالنبي ﷺ عليها، وصعد عليها من بيت المقدس إلى السماء.

فالآلة هي المعراج، والفعل بالنبي ﷺ هو العروج،

فالمعراج اسم للآلة، والعروج اسم للفعل.

٢ **أدلة** الإسراء والمعراج:

الإسراء والمعراج دل عليهما الكتاب والسنة والإجماع .

(من أنكر الإسراء والمعراج فهو كافر؛ إن أقيمت عليه الحجة) فإن عاند وكابر فله شأن، وإنكاره جرم كبير، لأنه ردٌ على الله جل وعلا، وردٌ على النبي ﷺ، ومخالفة لإجماع المسلمين والله جل وعلا يقول: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا).

ولم يوجد أحد ممن ينتسب إلى الإسلام أنكر الإسراء والمعراج ، **وإن كانوا قد يختلفون في تفاصيله** ، وفي كيفية الإسراء والعروج بالنبي ﷺ

الأدلة من الكتاب:

دليل الإسراء قوله جل وعلا:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...).

دليل المعراج قوله جل وعلا:

(أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) ولم يذكر فيه لفظ المعراج صراحة .

الأدلة من السنة: الأحاديث في ذلك كثيرة جدا.

حديث أنس رضي الله عنه في صحيح مسلم، قال ﷺ:

(أتيت بالبُراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فرَكِبْتُه حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطه بالحلقة التي يَربِط بها الأنبياء عليهم السلام، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة ثم عَرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟، قال: محمد ﷺ ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بـ ابنَي الخالة عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما وسلامه فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عَرج بي - يعني جبريل عليه السلام- إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام، إذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحّب ودعا لي بخير، ثم عَرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب ودعا لي بخير، قال الله جل وعلا: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) الذي هو إدريس ﷺ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟

قال: محمد، قيل: قد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتِح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مُسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله -يعني البيت المعمور- كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه -يعني لكثرتهم- ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال ﷺ: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها.

فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة

قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي، فخفف عني خمسا، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال -يعني الله-: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فسأله التخفيف، فقال الرسول ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه).

قال أنس: كان أبو ذر يحدث عن رسول الله ﷺ قال: فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، (يعني أنه أفرغ ما في هذا الطست من الحكمة والإيمان في صدر النبي ﷺ ومثل هذا مما أخبرنا به النبي ﷺ نؤمن به دون السؤال عن كيفيته والبحث عنه)، قال: ثم أطبقه (يعني أطبق صدر النبي ﷺ بعد ما فرجه وملأه حكمة وإيمانا)، قال: ثم أخذ بيدي -يعني جبريل عليه السلام- فعُرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح قال: من هذا؟ قال: جبريل قيل: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ فقال: أأُرسل إليه؟ قال: نعم.

ثم ذكر الحديث وفيه مرور النبي ﷺ على السماوات السبع، وفيه أيضا ذكر ملاقاته ﷺ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى غير ذلك من الأحاديث، فهذه الآيات والأحاديث دلت على الإسراء بالنبي ﷺ والعروج به.

.

الدليل الثالث: الإجماع:

أجمع المسلمون على جملة الإسراء والمعراج، وأن النبي ﷺ أسري به وعُرج، ولكن اختلفوا في شيء من تفاصيله..

٣ **زمن وقوع** الإسراء والمعراج:

الإسراء كان بالليل قال تعالى (أسرى بعبده ليلا) ولم يقل الليل كله وإنما أسرى به في جزء من ليلة

الحلقة ٢

أقوال العلماء في زمن وقوع الإسراء والمعراج:

القول الأول: قبل بعثة النبي ﷺ: وهذا قول شاذ،

ووجه الشذوذ أن النبي ﷺ أخبر قريشا، فكذبته وكان مع النبي ﷺ قوم آمنوا به وصدقوه، فلا يمكن أن يكون -والحالة هذه- قبل البعثة.

القول الثاني: بعد بعثة النبي ﷺ (وهو الصحيح)

وأصحاب هذا القول اختلفوا اختلافا كبيرا (الأقوال التي سيأتي ذكرها للفائدة)

فمنهم من قال:

قبل الهجرة بستة أشهر وهذا حكاه أبو الربيع بن سالم.

قبل الهجرة بثمانية أشهر. وقد حكى ابن الجوزي رحمه الله أن الإسراء والمعراج كان

قبل الهجرة بإحدى عشر شهرا وهذا قاله إبراهيم الحربي عليه رحمة الله.

قبل الهجرة بسنة، وهذا القول يُروى عن ابن مسعود رضي الله عنه وجزم به النووي عليه رحمة الله.

قبل الهجرة بخمسة عشر شهرا حكاه ابن فارس.

قبل الهجرة بسبعة عشر شهرا قاله السدّي.

قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا حكاه ابن عبد البر -رحمه الله-.

قبل الهجرة بعشرين شهرا.

قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير.

قبل الهجرة بخمس سنين:

وهذا القول قال به الزهري -رحمه الله- وحكاه عنه القاضي عياض -رحمه الله- في الشفاء ورجحه بالاتفاق لأن خديجة رضي الله عنها صلت مع النبي ﷺ بعدما فرضت الصلاة، وخديجة رضي الله عنها كانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث أو خمس ولا خلاف أن فرضها ليلة الإسراء وأجاب من ضعّف هذا القول بأن الصلاة التي صلتها خديجة مع النبي ﷺ هي التي كانت قبل البعثة وهما ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي والذي فُرض على النبي ﷺ ليلة الإسراء هي هذه الخمس صلوات التي نصليها نحن في اليوم والليلة.

واختلف في الشهر الذي وقع فيه الإسراء والمعراج على أقوال:

أنه كان في شهر ربيع الأول.

أنه كان في شهر ربيع الآخر.

أنه كان في شهر رجب.

أنه كان في شهر رمضان وقال به **الواقدي** رحمه الله.

أنه كان في شهر شوال وقال به **الماوردي** رحمه الله.

ثم أُختلف في أي يوم من الشهر على أقوال:

في ليلة السابع عشر من رمضان، وقال به **ابن سعد عليه** رحمة الله.

في ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر، وقال به **إبراهيم الحربي** رحمه الله.

(والراجح في هذه المسألة أن الإسراء والمعراج حصلا في ليلة واحدة في فترة مابين البعثة والهجرة ولايعرف لها تاريخ محدد)

فائدة البحث عن تاريخ الإسراء والمعراج:

الإسراء والمعراج لم يذكر تاريخهما واختلف فيه الناس كثيراً ولم يستندوا إلى أدلة صحيحة تبين تاريخه وهنا نريد أن نبين أمراً مهماً وقضية يقع فيها كثير من الناس اليوم وهي قضية م ا يسمى بعيد الإسراء والمعراج. وبعد أن علمنا أنه تاريخ مختلف فيه وأن العلماء لم يجمعوا على شيء منه، فإننا ندرك حينئذ أن تحديد يوم للإسراء والمعراج وجعله عيدا فهو خطأ محض، وبدعة لم يأذن بها الله، فهذا هو السبب الذي نتكلم من أجله عن تاريخ الإسراء والمعراج.

بعد علمك الاختلاف في تحديد تاريخ الإسراء والمعراج **فلتعلم إذن أن تحديد يوم يكون عيدا للإسراء والمعراج بدعة من البدع المحدثة لأمور منها:**

أولا:

أن هذا لم يفعله النبي ﷺ والداعي قائم له، والنبي ﷺ يقول: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، فهذا الذي يُحدث هذا العيد مردود عليه لأن النبيَ ﷺ لم يفعله.

ثانيا:

لم يفعله أيضا صحابة النبي ﷺ من بعده ولم يفعله التابعون أيضا ولو كان هذا الأمر خيرا لسبقونا إليه فهم أهل الفضل وأهل السبق لكل خير، فصحابة النبي ﷺ لم يؤثر عنهم أنهم احتفلوا بليلة الإسراء والمعراج ولا نُقل عنهم أنهم اجتمعوا أو خصّصوا يوماً من الأيام يزيدون فيه عبادة أو يحتفلون فيه بفرح أو سرور.

ثالثا:

لو كان هذا مما شرعه الله جل وعلا لما جهلنا هذه الليلة، فلو كانت عبادة لوضَّح الله زمانها كما وضَّح: شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى ووقت الحج وصيام عاشوراء وغير ذلك.

أما وقد أخفى الله جل وعلا علمها فليس لنا أن نبحث عنها لأن البحث عنها لو كان فيه خير لبينه الله جل وعلا لنا، فما أبهمه الله جل وعلا وأبهمه رسوله ﷺ نؤمن به كما جاء وهذا هو حظنا من الإيمان.

هل كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة أو كان في أكثر من ليلة؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

القول الأول/ أنهما كانا في ليلتين ولم يكونا في ليلة واحدة.

القول الثاني/ أنهما كانا في ليلة واحدة. **وهو قول الجمهور وهو الصحيح ودليلهم:**

قال ﷺ: (أتيت **بالبراق،** وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند مُنتهى طرفه قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عليهم السلام قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل صلى الله عليه وسلم: اخترت الفطرة ثم عرج بِنا إلى السماء الدنيا)

<u>فهذا الحديث دل على كون الإسراء والمعراج في ليلة واحدة</u> ، ولم يكونا في ليلتين لأن النبي ﷺ قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فهذا هو الإسراء، ثم قال ﷺ: ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا.

٤ مكان الإسراء بالنبي ﷺ:

من أين بدأ الإسراء؟

في الإسراء كان الانطلاق من المسجد الحرام والانتهاء كان إلى المسجد الأقصى.

وأما المعراج وهو العروج فمبتدؤه من المسجد الأقصى ومنتهاه عند سدرة المنتهى. **ثم عاد في ليلته تلك.**

يقول جل وعلا: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) .

فهنا قال: من المسجد الحرام، ومن لابتداء الغاية، فمبتدأ الإسراء من المسجد الحرام وهذا أجمع عليه المسلمون،

لكن اختلفوا من أي مكان أسري بالنبي ﷺ من المسجد:

فقيل: من مسجد الكعبة.

وقيل: من بين المقام وزمزم.

وقيل: من الحجر.

وقيل: من بيته ﷺ.

وقيل: من بيت خديجة.

وقيل: من شعبِ أبي طالب.

وقيل: من بيت أم هانئ وهو الصحيح.

فالمسجد الحرام يطلق على ما كان داخل الأميال وبيت أم هانئ كان داخل الأميال فهو في المسجد الحرام وقد وردت آثار كثيرة أوردها ابن جرير - رحمه الله- وبعضها يشد بعضا.

والدليل على أن ما كان داخل الأميال له حكم مسجد الكعبة أن النبي ﷺ لما كان في صلح الحديبية كان إذا حضر وقت الصلاة دخل ﷺ داخل الحرم وصلى [يعني داخل الأميال]، والله جل وعلا يقول: (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) [يعني إخراج أهله من المسجد الحرام].

الحلقة ٣

هل كان الإسراء :

بالروح والجسد أم بالروح فقط؟

وهل كان يقظة أم مناما؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على أقوال:

القول الأول: أنه أُسري بالنبي ﷺ وعرج بروحه وجسده يقظة لا مناما. (قول الجمهور وهو الراجح)

القول الثاني: أنه أُسري وعرج بالنبي ﷺ مناما.

القول الثالث: أنه أُسري به يقظة، وأما المعراج فكان مناما.

القول الرابع: أنه أُسري بالنبي ﷺ وعرج به بروحه دون جسده. (قول عائشة ومعاوية)

القول الأول وهو الراجح:

أنه أُسري بالنبي ﷺ وعرج بروحه وجسده يقظة لا مناما.

وهذا قول الجمهور، يقول القاضي عياض -رحمه الله- في كتابه الشفاء: "وذهب معظم السلف والمسلمين **إلى أن الإسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق** وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وابن مسعود والضّحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين". أ. هـ كلام القاضي رحمه الله. **وهذا القول هو القول الصحيح.**

أدلة القول الأول:

١- الدليل الأول: قوله جل وعلا: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فالإسراء كان بالعبد وهو محمد ﷺ، ووصفه بالعبودية جاء في أشرف المقامات ومنها مقام الإسراء.

والعبد هو مجموع الروح والجسد، قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) يقول القرطبي -رحمه الله- في تفسيره: **لو كان مناما لقال: بروح عبده ولم يقل: بعبده، فدل على أن الله جل وعلا أسرى بعبده بروحه وبجسده يقظة لا مناما.**

٢- الدليل الثاني: قوله جل وعلا: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)

وكلمة "**سبحان**" كما يقول أهل اللغة: يؤتى بها للتعجب، فإذا تعجبت من شيء قلت: سبحان الله، وكان النبي ﷺ إذا تعجب من شيء سبح. يقول الشاعر ابن علقمة الفاخري:

لله در الغانيات المُدَّه *** سبحن واسترجعن من تألهي

والله جل وعلا هنا قال: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) فهو أمر عجيب ولو كان بالروح أو كان مناما لما كان عجيبا؛ لأن الإنسان وهو نائم يرى أموراً كثيرة وليس فيها مما يتعجب منه.

٣- الدليل الثالث: قوله جل وعلا: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)

أي ما عدل عن رؤية ما أمر برؤيته من عجائب الملكوت، وما جاوزها.

وهذه الآية صريحة في كونه بجسده؛ **لأنه أضاف الأمر إلى البصر وهو لا يكون إلا يقظة بجسده، فالمنام لا يقال له "بصر"**، وأما في اليقظة فيقال "بصر".

٤- الدليل الرابع: أنه لو كان مناما لما استبعده الكفار ولا كذبوه.

إذ أن مثل هذه المنامات لا تُنكر، وهذه قريش كانت تقول: يزعم محمدا أنه أتى بيت المقدس ورجع إلى مكانه في ليلته والعير تطّرد إليها شهرا مقبلة وشهرا مدبرة! ولو كانت مناما لم يستبعدوا هذا؛ لأن النائم يرى نفسه في الشرق وهو في الغرب، ويرى نفسه في السماء وهو في الأرض، ولا يُكذَّب.

٥- الدليل الخامس: إخبار النبي ﷺ قريشا أنه مر على قوم يعرفونهم وأنه شرب الماء الذي كان عندهم، ثم يأتي هؤلاء القوم إلى قريش ويخبرونهم بأن النبي ﷺ فعل ذلك، أو أنهم قد وجدوا ماءهم قد شُرب، ثم يقال هذا منام؟!

٦- الدليل السادس: يقول القرطبي رحمه الله: "ليس الإسراء بجسده ﷺ في حال يقظته استحالة، ولا يُعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة". **يعني أن اللفظ يحمل على ظاهره وحقيقته**، والنبي ﷺ أخبر أنه عُرج به، وليس لأحد أن يصرفه عن ظاهره؛ وهو العروج به جسدا وروحا إلى معانٍ أخرى لم ترد بها النصوص.

فَتَلَخَّصَ من هذا أن النبي ﷺ أسريَ وعُرِجَ به بجسده وروحه يقظةً لا مناما.

القول الثاني:

أنه أُسري وعرج بالنبي ﷺ مناما

واستدلوا على هذا بأدلة منها:

الدليل الأول/

قوله جل وعلا: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ).

ووجه الاستدلال من هذه الآية هو: أن الله سماها رؤيا، والرؤيا في لغة العرب –كما يقولون– لا تطلق إلا على الرؤيا المنامية. ولا يُجزم بأن العرب لا يطلقون الرؤيا إلا على الرؤية المنامية؛ لأنه سيأتي أنهم يطلقونها على غير ذلك.

الدليل الثاني/

في بعض ألفاظ الحديث: "بينا أنا نائمٌ"، وفي بعض ألفاظه: "فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام". فقوله: "بينا أنا نائم" هذا لفظ من الرسول أنه كان نائما، ثم إنه قال: "فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام "، فقالوا: إن **ابتداءه كان نوما، وآخره كان نوما؛ فالإسراء والمعراج يكون نوما لا يقظة.**

الإجابة على أدلة القول الثاني:

الرد على الدليل الأول: وجه الدلالة من هذه الآية ضعيف وبيان هذا من وجوه:

الوجه الأول/ ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله جل وعلا: "الرؤيا" قال: **رؤيا عين أريها الرسول ﷺ ليلة الإسراء**، والذين قالوا بأنها رؤيا منام، قالوا: **إن الرؤيا إذا أطلقت في لغة العرب فإنها لا تنصرف إلا إلى الرؤيا المنامية**، فهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وهو إمام في اللغة.

ويقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (**إضافة الرؤيا للعين؛ للاحتراز عن رؤيا القلب**)، يعني أن ابن عباس لما قال: "رؤيا عين"، احترز بها من أن تكون رؤيا قلب.

الوجه الثاني/ أن الرؤيا تُطلق على الرؤيا المنامية وتطلق على الرؤيا البصرية،

يقول الراعي النُميري وهو يصف رجلا خرج يتصيد صيدا فطال عليه الانتظار؛ فرأى الصيد مقبلا فقال بيتاً نصه:

فكبّر **للرؤيا** وهش فؤاده ... وبشّر نفسا كان قبلا يلومها

فهذه رؤية بصرية، فهو رأى الصيد قد أقبل وسماها الراعي النُميري – وهو من أهل الاحتجاج– رؤيا، فهذه رؤية بصرية ومع ذلك قال "للرؤيا"، **فدل هذا على أن الرؤيا تُطلق على الرؤية البصرية وعلى الرؤيا المنامية.**

الوجه الثالث/ أن هذه الرؤيا هي التي رآها النبي ﷺ وذكرت في سورة الفتح في قوله جَلَّ وعلا :(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً)، فهذا تفسيرٌ لها إن حُملت على الرؤيا المنامية، **لكن الصحيح أنها رؤيا بصرية** كما روى ذلك البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكننا نقول: إن قُلتم إنها رؤيا منامية فنقول إنها مفسرةٌ بهذه الآية و إلا فإنا لا نحتاج إلى هذا الوجه على تفسير ابن عباس رضي الله عنهما.

الوجه الرابع/ في قوله جل وعلا: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ) **فرؤيا المنام لا تكونُ فتنةً لأحد وإنما تكون الفتنة في رؤيا العين، فالله جل وعلا جعلها فتنةً للناس فدل هذا على أنها رؤيا عين وليست مناماً.**

الرد على الدليل الثاني: استدلالهم ببعض ألفاظ الحديث وفيها: (وأنا نائم)، وفيها: (فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام).

فالجوابُ أن يقال: إن هذه الألفاظ **من الألفاظ التي غَلَّط الحُفَّاظُ فيها شُريكاً وهو راوي الحديث**، فمسلمٌ -رحمه الله_ لما ذكرَ حديث الإسراء تركَ روايةَ شريك ثمَ قال فقدّمَ و أخَّر وزاد فيه ونقص، والحفاظ غلطوا شريكاً في ألفاظ كثيرة بلغت عشرة ألفاظ منها هذان اللفظان وعلى التسليم بأن شريكاً -رحمهُ الله- لم يغلط في هذين اللفظين فالسيوطي رحمه الله حملَ قولهُ: «وأنا نائم» على **أن أول مجيء الملك إليه وهو نائم**، فأيقظه لا أنهُ استمر نائما وقولهُ: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام»، يعني أنهُ **بعد انتهاء ما جرى من الإسراء والمعراج عاد النبي ﷺ إلى المسجد الحرام ونام ثم استيقظ** فهذه إجابةٌ عما استدل به أصحاب القول الثاني وهم القائلون بأنه ﷺ أسريَّ به وعُرجَ به مناماً لا يقظة.

القول الثالث:

أنه أُسري به يقظة، وأما المعراج فكان مناما.

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

الدليل الأول/ أن الإسراء ذكر في القرآن الكريم في معرِض الامتنان، ولو كان متصلا باليقظة إلى الملأ الأعلى لما اقتصر على قوله: (إلى المسجد الأقصى)، مع كون المعراج أعجب وأغرب من الإسراء ومع ذلك ذُكرت آية الإسراء ولم تذكر آية المعراج، ولم يذكر المعراج متصلا بالإسراء، فدل على أن غاية الإسراء بالنبي ﷺ يقظة بجسده وروحه إلى المسجد الأقصى، وأما المعراج؛ فعُرج به مناما. ويعني أنه نام بالمسجد الأقصى ثم عُرج به ﷺ.

الدليل الثاني/ أن قريشا أنكرت على النبي ﷺ دعواه الإسراء ولم تُنكر المعراج، فدل على أنه لم يحدثهم أنه عُرج به يقظة. يقولون: إن الإنكار جاء منصبّا على الإسراء ولم يكن إنكارهم قد ذُكر فيه المعراج، فدل هذا على أن الإسراء كان يقظة، وعلى أن المعراج كان مناما، فقريش كذّبت بما يمكن التكذيب به، وهو دعوى الإسراء يقظة بالجسد والروح، ولم تكذب بما لا يمكن التكذيب به وهو دعوى العروج مناما.

الإجابة على أدلة القول الثالث:

أنه أسريَّ به جسداً يقظةً وعُرجَ به مناماً. نقول:

١- السُنةُ مبينةٌ للقرآن والقرآن قد جاء فيه ذكر المعراج وقد جاءت السُنةُ مُبينةً له،

٢- وأما استدلالهم بإنكار قريش فيقال: إنهم إذا أنكروا الإسراء وهو أسهل فكونهم ينكرون المعراج وهو أعظم من باب أولى، ويقول بعض أهل العلم: إنهم استدرِجوا إلى الإيمان بذكر الإسراء ثمُ ذُكِرَ لهم ما هو أعظم منه وهو المعراج

القول الرابع:

أنه أُسري بالنبي ﷺ وعرج به بروحه دون جسده. (قول عائشة ومعاوية)

فأصحاب هذا القول يقولون: أن النبي ﷺ أسري بروحه دون جسده، ولم يقولوا أنه أسري به مناما، وهذا القول مروي عن أم المؤمنين عائشة ومعاوية رضي الله عنهما، تقول عائشة رضي الله عنها فيما يروى عنها: "ما فقد جسد رسول الله ﷺ ليلة أُسري به، إنما أُسري بروحه" وفي لفظ "ما فقدتُ"، لكن الذي روي بالإسناد هو لفظ "ما فُقِدَ" وكان معاوية رضي الله عنه إذا سُئل عن الإسراء، قال: كانت رؤية من الله صادقة.

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها: أن هذا القول لعائشة رضي الله عنها وهي زوج النبي ﷺ، وهي أخبر الناس بأحواله.

الإجابة على أدلة القول الأول

نقول: أما ما ورد عن عائشة رضي الله عنها فقد أخرجه ابن إسحاق في السيرة، ومن طريقه ابن جرير -رحمه الله- في تهذيب الآثار؛ يقول ابن إسحاق: أخبرني بعض آل أبي بكر، أن عائشة رضي الله عنها قالت؛ وذكر الأثر. **فهذا الإسناد بلفظ (ما فقدت) فيه ثلاث علل:**

العلة الأولى/ جهالة آل أبي بكر.
فلا يُدرى مَن آل أبي بكر الذين حدثوا ابن إسحاق بهذا، فقد يكون ابن إسحاق قد أخذه عن ضعيف.

العلة الثانية/ الانقطاع بين هذا المجهول من آل أبي بكر وبين عائشة رضي الله عنها.
لأن آل أبي بكر الذين أخذ عنهم ابن إسحاق لا يُتصور أن أحداً منهم أدرك عائشة رضي الله عنها؛ لأن بينهما سنين طويلة؛ **وهذا إذاً إسناد لا تقوم به حجة**، وقد أورده القاضي عياض بلفظ: "ما فقدتُ جسد رسول الله ﷺ"

العلة الثالثة/ أن عائشة رضي الله عنها حين أسري بالنبي ﷺ لم تكن زوجة له، فكيف تقول: "ما فقدتُ"، والنبي ﷺ لم يكن تزوجها بعد؟!

فيكون عندنا ثلاث علل في قولها: "**ما فقدتُ جسد رسول الله** ﷺ"، وعلتان في لفظ "ما **فُقد جسد رسول الله** ﷺ"، فإن قال قائل: لماذا لا يكون هنالك أيضا ثلاث علل في لفظ "**ما فقد**"؟

فعائشة رضي الله عنها **حينما تقول: "ما فُقد جسد رسول الله ﷺ" لم تدرك النبي ﷺ، إنما أخذته عن غيرها!** فنقول: **إن عائشة رضي الله عنها -أو غيرها من الصحابة- إذا أبهموا أحدا فإن حديثهم صحيح لأن جهالة الصحابي لا تضر في الحديث عن رسول الله ﷺ. وأما ما يروى عن معاوية** رضي الله عنه فقد أخرجه ابن إسحاق وقال حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله جل وعلا صادقة. فهذا المروي عن معاوية رضي الله عنه **ضعيف؛ لأن يعقوب بن عتبة وإن كان ثقة إلا أنه لم يدرك معاوية رضي الله عنه.** فدل على أن ما ذهب إليه أصحاب هذا القول من دعوى أن الإسراء والمعراج كان بروح النبي ﷺ ولم يكن بجسده قول ضعيف، وأن الأدلة التي استدلوا بها لا تنهض أن تكون حجة.

الباب الثاني

باب الحوض

مقدمة حول الحوض

١ أدلة إثبات الحوض:

مما يجب الإيمان به؛ الحوض وقد ثبت الحوض للنبي ﷺ بالقرآن والسنة والإجماع.

١/دليل القرآن:

قولهُ جل وعلا: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)، وقد فسر النبي ﷺ الكوثر، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يومٍ بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسهُ متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله، قال: (أُنزلت عليّ آنفاً سورة؛ فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ). ثم قال: (أتدرون ما الكوثر؟) فقلنا الله ورسولهُ أعلم، قال: (فإنهُ نهر وعدنيه ربي جل وعلا عليه خيرٌ كثير هو حوضٌ تردُ عليه أُمتي يوم القيامة آنيتهُ عدد النجوم فيختلج العبدُ منهم فأقول ربي إنهُ من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك) وفي الصحيحين: (بينما أنا أسير في (الجنة) إذا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا - طينه – أو طيبه – مسك أذفر).

يقول ابن أبي العز -رحمه الله- في شرحه للعقيدة الطحاوية: "وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَشْخُبُ منه ميزَابَانِ مِنْ ذَلِكَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ، وَالْحَوْضُ فِي الْعَرَصَاتِ قَبْلَ الصِّرَاطِ، لِأَنَّهُ يُخْتَلَجُ عَنْهُ، وَيُمْنَعُ مِنْهُ أَقْوَامٌ قَدِ ارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يُجَاوِزُونَ الصِّرَاطَ".

فتفسير النبي ﷺ للكوثر ليس صريحاً في الحوض الذي يكون يوم (القيامة)، وإنما هو صريحٌ في الحوض الذي يكون في (الجنة)، فالكوثر الذي في الجنة حوضٌ عظيم يشخبُ منهُ ميزابان يمدان الحوض الذي في عرصات يوم القيامة.

٢/الأدلة من السنة:

قال ابن أبي العز -رحمهُ الله-: **الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، رَوَاهَا مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعٌ وَثَلَاثُونَ صَحَابِيًّا.** وقال الحافظ السيوطي -رحمهُ الله-: "ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الأربعةُ الراشدون وحُفّاظ الصحابة المكثرون وغيرهم، فأحاديث الحوض بلغت حد التواتر. **منها:** حديث أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: « إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فيه من الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». رواه البخاري وَعَنْهُ ﷺ أن النَّبِي ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمُ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ». رواه مسلم.

ومنها: حديث جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ». رواه البخاري ومسلم وَالْفَرَطُ: الَّذِي يَسْبِقُ إِلَى الْمَاءِ.

ومنها: حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. قَالَ أَبُو حَازِمٍ: [وهو الراوي] فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ [وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا] فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ: فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَقَالَ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي». رواه البخاري

٣/الإجماع:

المسلمين أجمعوا على إثبات الحوض للنبي ﷺ عدا من شذ منهم ممن لا يُعتدُ بوِفاقه ولا خلافه

فشذ من هذا **المعتزلة** وقالوا بأنهُ ليس هناك حوض.وحُجّةُ المعتزلة في إنكار الحوض أمران:

الأمر الأول:

عدمُ احتجاجهم بأخبار الآحاد

والجواب عن هذا أن يُقال:

دعواكم باطلة، فأخبار الآحاد يُحتجُ بها على مسائل الاعتقاد، فقد بعث النبي ﷺ رُسُلَهُ أحادا ولم يزل صحابة النبي ﷺ يدعون إلى الإسلام ويرسلون الرُسل أحادا ولم يزل الناس يقبلون أخبار الآحاد ولم يفرقوا بين عمل واعتقاد. ونقول إنَ هذه الأخبار وهي الأخبار الواردة في الحوض ليست أخبار آحاد وإنما هي أخبار متواترة فتواترت الأخبار بذلك عن رسول الله ﷺ.

الأمر الثاني:

أن العقل يأباه فما وردَ من صفات فالعقل يُحيل هذا عند المعتزلة، فعقولهم الفاسدة أحالت ذلك.

والجواب عن هذا أن يُقال:

وأما دعواكم بأن العقل يُحيلُها فنقول: إن العقل الصحيح لا يُحيلُها لأن الله جَلَّ وعلا يقول: (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ..)، والعقل الصحيح السالمُ من الشُبهات هو من خَلْقِ الله، وما جاء به النبي ﷺ هو من أمر الله الكائن بأمره الكوني القدري، وشرعه جل وعلا كائنٌ بأمره الديني الشرعي، **ولا يمكن أن يتعارض الأمران، فالتعارض إنما هو في عقولكم الفاسدة،** وأما أهل السُنة والجماعة فإن عقولهم تقبلُ ما جاء به النبي ﷺ وإن لم تدركه فهي تقبلهُ وتُسلم ولا تُجادلُ فيه، هكذا علّمنا دينُنا وهكذا علمنا نبينا ﷺ فخلاف هؤلاء المعتزلة لا يُعتدَّ به، فالمسلمون أجمعوا قبلهم على أن نبينا ﷺ له حوض.

هل لكل نبي حوض، أم أن هذا خاص بالنبي ﷺ؟

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إن لكل نبي حوضا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردا، وإني أرجو الله أن أكون أكثرهم واردا**). وهذا الحديث صححه الشيخ الألباني -رحمه الله-، فدلّ هذا الحديث على أن لكل نبي من الأنبياء عليهم السلام حوضا، وأن أممهم ترده، لكن حوض النبي ﷺ هو أكبرهم وأكثرهم واردا.

.

٢ صفات الحوض:

له صفاتٌ عظيمة منها: **أنهُ حوضٌ عظيم** فهذا النبي ﷺ يقول: «...حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ...». **ومورِدٌ كريم** فالنبي ﷺ أخبر **بحلاوته**، وأخبر النبي ﷺ **بما يكون فيه من الآنية ومن جمالها**، وأن **ماء هذا الحوض أشدُ بياضاً من اللبن وأنهُ أحلى من العسل وأنهُ أبردُ من الثلج وأنهُ أطيب ريحاً من المسك وأنهُ في غاية الاتساع، وأن عرضهُ وطولهُ سواء كلُ زاويةٍ من زواياه مسيرةُ كذا وكذا** مما حدده النبي ﷺ، فهذا شيءٌ من صفات هذا الحوض الذي أخبر به النبي ﷺ.

هل يُقال بأن حوض النبي ﷺ دائري الشكل؟

نقول **لا يقال هذا**؛ لأن النبي ﷺ قال: «... عرضهُ وطولهُ سواء...»، وأخبر النبي ﷺ بأن لهُ زوايا، والدائرةُ ليس لها زوايا فدل هذا على أنهُ ليس بدائري.

تحديد الحوضِ وتقديره:

الحلقة٥

اختلفت الروايات في تحديد الحوض وتقديره:

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن**). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورِق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه؛ فلا يظمأ بعده أبدا**) وعن حارثة رضي الله عنه قال: حوضه -يعني حوض النبي ﷺ- **ما بين صنعاء والمدينة**. وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (**حوضي كما بين عدن وعمان**).

حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**مثل ما بين ناحيتي حوضي؛ مثل ما بين صنعاء والمدينة، أو مثل ما بين المدينة وعمان**).

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (**أنا عند عُقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن أني لأضربهم بعصاي حتى يرفض عليهم وإنه ليصب فيه ميزابان؛ أحدهما من ورِق، والآخر من ذهب، ما بين بصري وصنعاء، أو ما بين أيلة ومكة، أو قال ما بين مقامي هذا وعمان**).

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: (**إن أمامكم حوضا ما بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح**).

يقول القرطبي -رحمه الله- في التذكرة: ظن بعض الناس في هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك؛ وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة؛ **مخاطبا كل طائفة بما كانت تعرفه من مسافات في مواضعها؛ فيقول لأهل الشام: ما بين أذرح وجرباء، ولأهل اليمن: من صنعاء إلى عدن؛ لأنهم يعرفون هذا**، وهكذا. وتارة أخرى يقدر بالزمان، فيقول: مسيرة شهر، والمعنى المقصود: أنه حوض كبِير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات.

يقول بعض أهل العلم ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة، فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح؛ فلا معارضة. **يعني أنه إذا جاء عندنا ذكر مسافة قليلة، ثم جاء بعده ذكر مسافة طويلة فلا معارضة بينهما؛ لأن المسافة القليلة داخلة في المسافة الكثيرة**. ويقول بعض أهل العلم: ذكر النبي ﷺ هذا باعتبار أحوال الناس في قطعهم للسير فمن يقطع مسافة عشرة أيام في عشرة أيام، والمسافة هي مسافة من يقطع مسيرة عشرة أيام في ثلاثة أيام، فالاختلاف إنما هو في ملاحظة سير السرعة وعدمها.

من يذاد
عن الحوض؟

يقول القرطبي -رحمه الله- في التذكرة: قال علماؤنا رحمهم الله: **كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض** المبعدين عنه، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم وهذا يُفيد تحذير المؤمن من الوقوع في البدع والمحدثات وذلك أنها تتضمن عدم الشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ وأنه مقصر فيه فتجد المبتدع يزيد فيه ويستدرك علي النبي ﷺ، ويشرع ما لم يأذن به الله، فسماهم الله جل وعلا شركاء، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ فأهل الإحداث والخروج على جماعة المسلمين وإمامهم بالتفجيرات والاغتيالات بدعوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيرهم فهؤلاء هم من المطرودين عن الحوض.

الباب الثالث

باب الشفاعة

مقدمة حول الشفاعة

١ تعريف الشفاعة:

التعريف اللغوي:

مِنْ جَعْلِ الوتر شفعا أي زوجا ، والوتر هو الواحد ، فالشفع خلاف الوتر؛

فالوتر: واحد، وثلاثة، وخمسة، وسبعة، وتسعة، وأحد عشر، إلى غير ذلك،

والشفع هو الزوج، فإذا كان -مثلا- عندك واحدٌ وأردت أن تشفعه، فتجعل معه واحداً فيكون حينئذ شفعًا.

التعريف الاصطلاحي:

هي سؤال الخير للغير أو التوسط للغير في جلب مصلحة أو دفع مضرة.

٢ ثبوت الشفاعة:

الشفاعة ثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع المسلمين، إلا من شذ من أهل البدع ممن لا يُعتد بوفاقهم ولا خلافهم في هذا الباب.

٣ أنواع الشفاعة:

والشفاعة جاءت في كتاب الله على نوعين:

الأول: شفاعة منفية. **الثاني:** شفاعة مثبتة.

نقض التعارض

بين النصوص المثبتة والنافية للشفاعة:

النصوص القرآنية جاء فيها نفي للشفاعة، وجاء في نصوص أخرى إثبات للشفاعة أيضا، وهذه النصوص ليست متعارضة، **وإنما المنفي منها نفي لانتفاء شرطه، والمثبت منها أثبتَ لاستيفاء شروطه وزوال موانعه:**

أولا/ النصوص النافية للشفاعة:

(المطلوب فهم دلالتها فقط)

قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يؤخذ منها عدلٌ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾

قال تعالى -حاكيا عن صاحب "يس"-: ﴿**أأتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ**﴾.

قال تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾

قال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ...**﴾.

قال تعالى -حاكيا عن أهل النار-: ﴿فمالنا من شافعين ولا صديق حميم﴾.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

قال جل وعلا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

ثانيا/ النصوص المثبتة للشفاعة:

(المطلوب فهم دلالتها فقط)

قال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾. هذا **استفهام جاء بعده استثناء فكان مثبتا**. ويقول جل وعلا: ﴿**مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ فهذا نفي لأن يكون أحد يشفع إلا بإذنه، فأثبت الشافع بإذنه، ونفى الشافع بغير إذنه.

قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾. فنفى الشفاعة عمن لم يرتضه جل وعلا وأثبتها لمن رضيه جل وعلا.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتْ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾.

قال تعالى: ﴿**وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

شروط الشفاعة المثبتة

١ قدرة الشافع على الشفاعة:

يعني **لا بد أن يكون الشافع قادرا على الشفاعة**، أما إذا لم يكن قادرا على الشفاعة فإنها لا تطلب منه حينئذ ولا تنفع، وهذه كمن يطلب الشفاعة من الأصنام أو من الأولياء من أصحاب القبور أو من الصالحين أو من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم، فهذه الشفاعة لا يقدر عليها هؤلاء، يقول جل وعلا: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾. فهؤلاء يطلبون هذه الأشياء ممن لا يقدر عليها، يقول الله جل وعلا: ﴿**وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.

فإن قيل:
هل تطلب الشفاعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم؟

الجواب أن طلب الشفاعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على ثلاثة أنواع:

الأول:

شفاعة تطلب منهم وهم أحياء:

وهذا جائز، كما كان النبي ﷺ؛ تطلب منه، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

"جاؤوك" أي في حال حياتك، فحينئذ إذا طلبوها حال حياته فهذا أمر جائز.

الثاني:

طلبها منهم في القبور:

فهذا لا يجوز، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

الثالث:

طلبها منهم بعد البعث والنشور:

فهذا الطلب جائز كما سيأتي معنا أن الناس يستشفعون بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢ **إسلام** المشفوع له:

إذا كان المشفوع له غير مسلم فإن الشفاعة لا تجوز إلا في حالٍ واحدة وهي شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب وهذه خاصةٌ بالنبي ﷺ، فالشفاعة للكافر لا تجوز، فلا بد إذاً من أن يكون المشفوع لهُ مُسلما يقول الله جَلَّ وعلا: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، والمرادَ بالظَّالمين هُنا الكافرون كما قال تعالى ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

يقول البيهقي -رحمه الله- في ((شعب الإيمان)): "فالظالمون هاهنا هم الكافرون ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين، **ويقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره** أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريبٍ منهم ينفعهم ولا شفيعٍ يشفعُ فيهم بل قد تقطّعت بهم الأسباب من كل خير، ويُستثنى من المشركين أبو طالب فإن النبي ﷺ يشفعُ له حتى يصير في ضحضاح من نار وشفاعتهُ ﷺ لأبي طالب **ليست شفاعة إخراج و إنما هي شفاعة تخفيف من العذاب**، وأما غيرهُ من الكافرين فإن الشفاعة لا تنفعُ فيه سواءً كانت شفاعة إخراج أو كانت شفاعة تخفيف من العذاب.

٣ **الإذن** للشافع بأن يشفع:

قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، فلا بد من الإذن للشافع فإذا شفع بغير إذن فإنهُ حينئذ تكون شفاعتهُ مردودة.

٤ **الرضا** عن المشفوع له:

قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى...﴾.

فهذه هي شروط الشفاعة المثبتة، فإذا انتفى شرط من هذه الشروط فإن الشفاعةَ حينئذ تكون شفاعةً منفية ولا تُقبل بل تكون مردودة.

أنواع الشفاعة المثبتة

١ الشفاعةُ العظمى

وهذه خاصةٌ بالنبي ﷺ لا يشاركهُ فيها أحد، وهي في ذلك الموقف العظيم

الحلقة ٦

الدليل من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ **ودلالة هذه الآية محتملة وليست بصريحة، لأنهُ قد اختُلِفَ في هذا المقام المحمود اختلافا كثيرا.**

الدليل من السنة:

وهو دليل صريح لهذه الشفاعة

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: (أُتِيَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يوماً بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْه منْهَا الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ منْهَا نَهْسَةً، فقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ ولد آدم يَوْمَ الْقِيَامَة، أَنَا سَيِّدُ النَّاس يَوْمَ الْقِيَامَة، وَهَلْ تَدْرُونَ لِمَ ذَلِكَ؟- يعني بأي شيء صرت سيد الناس يوم القيامة أو سيد ولد آدم يوم القيامة- يَجْمَعُ اللَّهُ يوم القيامة الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فيسمعهُمُ الدَّاعِي وَينْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ منَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ» قوله ﷺ [فَيَبْلُغُ النَّاسُ] هذا مفعولٌ به مقدم والاسم الموصول في قوله (مَا لَا يُطِيقُونَ) -هذا هو الفاعل- «وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فيه؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائتوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِه، وَنَفَخَ فيكَ منْ رُوحِه، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فيه؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ، عليه السلام: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُه، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، عليه السلام، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فيه؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لهم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قد كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إبراهيم عليه السلام، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّه وَخَلِيلُهُ منْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فيه؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِه، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّه، فضلك اللَّهُ بِرِسَالَاتِه وَبِتَكْلِيمه عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فيه؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى عليه السلام: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، عليه السلام، فَيَأْتُونَ عِيسَى، عليه السلام، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى

أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى، عليه السلام: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)- قال: فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ، مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنطلقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ الجنةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

فهذه الشفاعة هي شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف.

فإن قلت:

إن هذه الشفاعة ليس فيها ذكرٌ بأن النبي ﷺ شفع فيها لأهل الموقف!

إنما قال: [يَارَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ الجنةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ].

فالجواب: **قول أهل العلم -رحمهم الله- إن في هذا حذف؛ يعني أن النبي ﷺ أعطيَ الشفاعة لأولئك يعني لأهل الموقف، ثم شفع النبي ﷺ بعد ذلك لأمته، فشُفِّعَ ﷺ الشفاعتين في ذلك الموقف، فهذا هو دليل الشفاعة العظمى وهي خاصةٌ بالنبي ﷺ.**

---

٢ شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر:

وهذه الشفاعة لأهل الكبائر لا يختصُّ بها النبي ﷺ بل يشاركهُ فيها غيرهُ.

الأدلة من السنة على شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته:

الدليل الأول: عن أَنَس بْنِ مَالِك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنهُ قال: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، فالنبي ﷺ أخبرَ أنهُ يشفع لأهل الكبائر من أمته.

الدليل الثاني: عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليخرج قومٌ من أمتي من النار بشَفَاعَتِي يسمون جهنّميون».

الدليل الثالث: عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أما أهل النارِ الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال: بخطاياهم، فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر (جماعات) فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبّةِ تكون في حميل السيل».

الأدلة على أن الشفاعة لأهل الكبائر لا يختص بها النبي ﷺ بل يشاركه فيها غيره:

الدليل الأول: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناسا في زمن النبي ﷺ قالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال ﷺ: "نعم، قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟" قالوا: لا. قال: "وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟" قالوا: لا يا رسول الله. قال: "ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن: ليتّبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍ وفاجرٍ وغُبّرِ أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا ترِدون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا ترِدون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: ماذا تنتظرون! تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: ياربنا! فارقنا الناسَ في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم فيقولون لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينهُ آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقٍ فلا يبقى من كان يسجدُ لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجدُ اتقاء و رياءَ إلا جعل الله ظهرهُ طبقةً واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أولَ مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلِّم سلِّم، قيل: يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك -شوكة صلبة-، تكون بنجد، فيها شويكة، يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا، كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم؟ فتحرمُ صورهم على النار فيَخْرِجُونَ خلقاً كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فما وجدتم في قلبه من مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيرا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا»، وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فأقرأوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾، فيقول الله جل وعلا: « شفع الملائكةُ وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حماما فيلقيهم في نهرٍ في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرجُ الحبةُ في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر و أخيضر وما يكون منها إلى الظل يكونُ أبيض»، فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية.)

في هذا الحديث **شفاعة المؤمنين لإخوانهم المؤمنين الذين دخلوا النار وهم أهل الكبائر فإنهم يشفعون فيهم** حتى إنهم ليشفعون فيمن كان في قلبه مثقالُ ذرة من خير، **فهذا دليلٌ على أن هذه الشفاعة شفاعةٌ يُشاركُ فيها الأنبياء غيرهم من الأولياء والصالحين والمؤمنين.**

الحلقة ٧

الدليل الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قيل يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه).

الدليل الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله ﷺ ماذا رد إليك ربك في الشفاعة؟ فقال: والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم، والذي نفس محمد بيده ما يهمني من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام الشفاعة وشفاعتي لمن شهد ألا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه).

وهذان الحديثان وإن لم يكونا صريحين فإنهما يدلان على ذلك، لأن أهل الكبائر من جملة المسلمين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "**إن أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي ﷺ وقد اتفق عليها السلف من الصحابة وتابعيهم بإحسان وأئمة المسلمين، وإنما نازع في ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان بل كلهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة.**

فالخوارج والمعتزلة ومن تبعهم من الطوائف أخذوا بنفي شفاعة النبي ﷺ وشفاعة غيره لأهل الكبائر واستدلوا على هذا بأدلة من القرآن الكريم ظنوها أدلة لهم على مذهبهم والحقيقة أنها ليست دليلاً لهم إنما هي دليل عليهم.

أدلة من قالوا بنفي شفاعة النبي ﷺ وشفاعة غيره لأهل الكبائر:

وخالف في هذه الشفاعة المعتزلة والخوارج فقد أنكروها وأدلتهم:

١) (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة...)

ووجه استدلالهم

أ. أن كل نفس لا تحمل عن النفس الأخرى شيئا من الآثام ولا تؤثر في إسقاط العذاب فلو جازت الشفاعة لأجزت نفس عن نفس

ب. أن الشفاعة جاءت نكرة فتفيد العموم

ت.إن الله أخبر أنهم لا ينصرون فإن كان ثم شفيع كان لهم نصير

والرد عليهم:

أن هذه الآية مخصوصة بالكفار بين هذا :

أ. سبب نزول هذه الآية الرد على اليهود الذين قالوا أن آبائهم يشفعون لهم

ب.أن الخوارج والمعتزلة يقولون بالشفاعة في زيادة الثواب فيكونون قد نفوا عموم الآية

١. أن الشفاعة العظمى مما اتفق عليه/ وافقت عليها المعتزلة والخوارج ولم يدخلوها في عموم هذه الآية . فتكون هذه الآية ليست على عمومها

٢) (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ...)

ووجه الاستدلال :

أن الله نفى عن الظالمين الشفيع والصديق وأهل الكبائر ظالمين

والرد عليهم :

أ. أن المراد بالظالم هو المشرك الكافر يقول ابن كثير رحمه الله (أي ليس الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم أو شفيع يشفع لهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير والظلم هنا نظير الظلم)

ب.ففرق بين الأمرين الشفيع لا يكون إلا دون المشفوع إليه المشفوع إليه هنا من هو؟

ت. هو الله جلا وعلا والشفيع هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أذن الله جلا وعلا ورضي له أن يشفع فهم دون الله جلا وعلا فالمشفوع إليه هو الله والشافع والشفيع هم هؤلاء الشفعاء فالله جلا وعلا يستجيب لهم إذا طلبوا الشفاعة لكنه لا يطيعهم

ث.أن الله نفى شفيعا يطاع ولم ينف شفيعا يجاب

٣) (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ...)

ووجه الاستدلال :

أن الله نفى جميع الشفاعات لأنها نكرة في سياق الآية

الرد عليهم :

أ. أنهم لا يقولون بعموم الآية بل يخصون الشفاعة العظمى والشفاعة بزيادة الثواب

ب.أن هذه الآية مقصود بها الكفار المتصفين بالظلم على الإطلاق لا على أهل الظلم من المؤمنين فنفى الشفاعة عنهم والدليل ختام الآية(والكافرون هم الظالمون)

٤) (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار)

ووجه الاستدلال :

أنه لو كان هناك شفيع لكان هناك نصير والآية نفت ذلك

والرد عليهم :

أ. أنه خاص بالكفار (من تدخل)أي تخلد

ب. ويقول سعيد ابن المسيب رحمه الله الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار وهم الكفار .

ت.أنها مخصصه بآيات أخر تفيد إثبات الشفاعة لأهل الكبائر

ث.ولو سلمنا أنها في أهل الكبائر لكان معنى الخزي الحياء وليس الدخول دليل على الخلود

الحلقة٨:

٥) الدليل الخامس للمعتزلة والخوارج(ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)

وجه الاستدلال :

أن الفاسق غير مرتضى فلا يشفع له

الرد عليهم :

أن خروج المؤمن العاصي عن رضا الله ليس كخروج الكافر وليس من حكمة الله المساواة بينهم (أفنجعل المسلمين كالمجرمين)

٦) (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)

ووجه الاستدلال :

أن الله أخبر أنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين فلو كانت سببا لخروجهم من النار لكانت نفعا لهم ولكن ذلك مناقض للآية

والرد عليهم :

أن هذه الشفاعة لا تنفع من اتصف بالصفات التي قبل هذا الآية وهي (لم نك من المصلين ولم نك نطعم

المســـكين وكنا نخوض مع الخائضـــين وكنا نكذب بيوم الدين)

٧) (الذين يحملون العرش ومن حوله يســبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويســـتغفرون للذين آمنوا ربنا وســعت كل شـئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)

ووجه الاستدلال:

لو كانت الشفاعة حاصلة للفاسق لكان تقيد ها بالتوبة ليس له معنى

والرد عليهم :

أ. أن هذا لفظ عام لا يدخل فيه أهل الإيمان وقد بين النبي صـلى الله عليه وسـلم شـفاعته لأهل الكبائر

ب.أن الملائكة خصـــوا طائفة من الناس لمزيد العناية بهم فلا ينفي هذا العموم السابق

٨) (ومن يعص الله ورســـوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)

ووجه الاستدلال:

أن الله أخبر أن العاصي يعذب بالنار ويخلد فيها والعاصي هو الكافر والفاسق

والرد عليهم :

إن العاصي المذكور هنا هو من حاد الله ورسوله و شك في حكم الميراث وهذا كافر

٩) (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون)

ووجه الاستدلال:

والمجرم اســـم يتناول الفاســـق والكافر ولو أراد الله أحدهم لبين

والرد عليهم :

إن المجرمين هم الكفـار وهو كقول اللـه (إن الـذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون)

ويبين هذه الآية ما بعدها إلى قول الله (ولكن أكثركم للحق كارهون) والمؤمن لا يكره ما أنزل الله

١. شـــفاعة الرســـول ﷺ لناس من أهل الإيمان بدخول الجنة بلا حساب (وهذه خاصة له ﷺ)

والأدلة:

أ. حديث ابن عباس (في الســـبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) مسلم

ب. حديث أبي هريرة (أن النبي ســـأل الله الشفاعة في أمته فقال لك سبعين ألف فسأل الله أن يزيده فحثى حثيتين عن يمينه وشماله)أخرجه همام في الزهد

الحلقة ٩:

٢. شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لمن سكن المدينة وصبر على لأوائها ومات بها (وهي خاصة له صلى الله عليه وسلم)

الدليل :

حديث عامر بن ســعد عن أبيه (...ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة)مسلم

٣. شـــفاعة النبي صـــلى الله عليه وســـلم لأهل الجنة أن يدخلوها (خاص بالنبي صـلى الله عليه وسلم)

الأدلة :

أ. حديث الشـــفاعة الطويل (أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من الجنة)

ب. حديث أبي هريرة وحذيفة (استفتاح الجنة)

٤. شـفاعة النبي صـلى الله عليه وسـلم في رفع درجات أهل الجنة (ليست خاصة)

الأدلة:

أ. حديث أبي موسى (... اللهم أغفر لعبيد أبي عامر اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ...)

ب. حديث أم سـلمه (... اللهم أغفر لأبي سـلمه وارفع درجة في المهديين ...) مسلم

٥. شـــفاعة النبي ﷺ لأبي طالب أن يخفف عنه العذاب (وهي خاصة للنبي ﷺ بأبي طالب)

الدليل :

حديث أبي سعيد (لعله أن تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضـحضـاح من نار يغلي منه دماغه) متفق عليه

الحلقة ١٠:

هل شـفاعة النبي ﷺ لعمه تنافي قول الله (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)؟

أ. أنه لا تعارض لأن الآية عامة وخص منها هذه الشفاعة

ب.أن المنفعة في الآية هو الإخراج من النار وما ثبت في الحديث هو التخفيف لا الإخراج

٣ **شفاعة** النبي ﷺ للمؤمنين بدخول الجنة:

وهذا النوع من الشفاعة خاص أيضاً بالنبي ﷺ والأدلة عليه من السنة:

الدليل الأول: الحديث الطويل في الشفاعة وفيه (فيقال: يا محمد أدْخِل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك).

الدليل الثاني حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك

إنما كنت خليل من وراء وراء -وهذا تواضع منه عليه السلام- فيقول: اعمدوا إلى موسى عليه السلام الذي كلمه الله تكليماً فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لستُ بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كَلِمَةُ اللهِ وروحه فيقول عيسى عليه السلام: لست بصاحب ذلك فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيأذن له)

٤ **شفاعة** النبي ﷺ لطائفة من المؤمنين بدخول الجنة بغير حساب.

وهذا النوع من أنواع الشفاعة خاص بالنبي ﷺ

الأدلة من السنة:

الدليل الأول: عن حصين بن عبد الرحمن قال: **(كنت عند سعيد بن جبير فقال أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت)** - هذا فقه السلف فإنهم رضي الله عنهم لم يكونوا يراءون خشية أن يفهم منه أنه قام لصلاة ولكنه بين أنه لم يقم لصلاة ولكن قام بسبب عقرب لدغته- **(قال: فماذا صنعتَ؟ قلت: استرقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثنا إياه الشعبي. قال: فما حدثكم الشعبي؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حُمة، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع)** لكن حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(عُرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرتُ وإذ بسواد عظيم، فقيل لي: انظر للأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)** ثم نهض ودخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا الرسول ﷺ وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: **ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال: ادعوا الله أن يجعلني منهم فقال: أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادعوا الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكّاشة)** فالنبي ﷺ أثبت هنا أن سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم شفع لعكاشة بن محصن أن يكون منهم،

الدليل الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**سألت الله الشفاعة لأمتي فقال لك سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قلت: رب زدني فحثا لي بيديه مرتين عن يمينه وشماله**) فهذا دليل على أن النبي ﷺ يشفع في هؤلاء السبعين ألفاً بغير حساب وبالزيادة التي حثاها الله جل وعلا بيديه مرتين عن يمينه وشماله فهذه أدلة على هذا النوع من الشفاعة

٥ **شفاعة** النبي ﷺ لمن سكن المدينة وصبر على لأوائها ومات بها:

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ وليست لغيره

الدليل من السنة: حديث عامر بن سعيد عن أبيه رضي الله عنه قال: (**قال رسول الله ﷺ: إني أحَرِّمُ ما بين لابتي المدينة أن يُقطع عضاهها أو أن يُقتل صيدها وقال: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة**)، **فهذا الحديث دل على أن النبي ﷺ يشفع لمن سكنها وصبر على لأوائها وجهدها.**

٦ **شفاعة** النبي ﷺ في رفع درجات أهل الجنة:

هذا النوع من الشفاعة ثابت عند سلف هذه الأمة وعند غيرهم من المعتزلة، والخوارج فالمعتزلة والخوارج لا يمنعون منه وإنما يقولون به

الأدلة من السنة:

الدليل الأول:

عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (لما فرغ النبي ﷺ من حُنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد ابن الصمة فقُتل دريد وهزم الله أصحابه، فقال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فقال: رُمِي أبو عامر في ركبته-رماه رجل من بني جشم- فأثبته في ركبته فانتهيت إليه -أي انتهى إلى أبي عامر- فقلت يا عم من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى فقال إن ذاك قاتلي فأراه ذلك الذي رماه" -يعني أن أبا عامر أشار إلى أبي موسى رضي الله عنه مبيناً له مَن الذي رماه- قال أبو موسى: فقصدت له -أي قصدت إلى ذلك الرجل الذي رمى أبا عامر- فاعتمدته فلحقته فلما رآني ولى عني ذاهبا - هرب لما رأى أبا موسى يتبعه- قال: فتبعته وجعلت أقول له ألا تستحيي -يعني ألا تستحيي أن تهرب؟!- ألست عربيا؟! ألا تثبت؟! فكف فالتقيت أنا وهو فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربته بالسيف فقتلته، ثم رجعت لأبي عامر فقلت إن الله قد قتل صاحبك قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزل منه الماء فقال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي. قال: واستعملني أبو عامر على الناس -يعني بعد أن استشهد أبو عامر- ومكث يسيراً ثم إنه مات فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مُرَمَّل -ويلفظ مُرْمَل- وعليه فراش وقد أثر رمال السرير في ظهر رسول الله ﷺ وجنبه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقلت له: إن أبا عامر يقول: قل له استغفر لي فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ثم رفع يديه ثم قال: (اللهم اغفر لعبيد أبي عامر) حتى رأيت بياض إبطيه ﷺ، ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس) الشاهد هنا عندنا قوله ﷺ: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو الناس) والنبي ﷺ شفع لأبي عامر بأن يجعل الله جل وعلا منزلته فوق كثير من الخلق أو من الناس فدل هذا على شفاعة النبي ﷺ في رفع درجات أهل الجنة "فقلت: -

أي أبو موسى- ولي يا رسول الله استغفر" يعني استغفر لي لما رآه بهذا الدعاء لأبي عامر "فقال النبي ﷺ: (اللهم فاغفر لعبد الله بن قيس ذنبه -وعبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري- وأدخله يوم القيامة مُدخلاً كريما) قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى "يعني إحدى الدعوتين لأبي عامر والأخرى لأبي موسى") أيضاً في هذا الحديث دليل على طلب الشفاعة من النبي ﷺ حال حياته.

الدليل الثاني :

عن أم سلمة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج الناس من أهله من أهل أبي سلمة رضي الله عنه لما توفي فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونوّر له فيه) فالشاهد عندنا من هذا الحديث قوله ﷺ: "وارفع درجته في المهديين" استدل به العلماء على شفاعة النبي ﷺ في رفع درجات أهل الجنة وذلك أن المهديين في الجنة، والشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ليست خاصة بالنبي ﷺ ، وإنما يشاركه فيها غيره (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**)

٧ **شفاعة** النبي ﷺ لعمه أبي طالب ليخفف عنه العذاب:

هذه الشفاعة اختُص بها النبي ﷺ دون غيره وفي حالة واحدة، وهي حالة عم النبي ﷺ أبي طالب.

أبوطالب كان ينصر النبي ﷺ ويحميه ولم تستطع قريش الوصول إليه هيبة من أبي طالب؛ لأنه كان شيخ قريش ومعظَّماً فيها...فالنبي ﷺ اجتهد على أن يسلم عمه، لكن الله كتب له خاتمة السوء، وكان النبي ﷺ جالساً عند رأسه حين قبض الله روحه فكان يقول: "يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله يوم القيامة"، وكان عبد الله بن أمية -قبل أن يسلم- وأبو جهل جالسَين عند رأس أبي طالب فكان كلما قال له رسول الله ﷺ: "يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيامة" قالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فكان يقول أنا على ملة عبد المطلب، فالنبي ﷺ أخذ على نفسه أن يستغفر له لأجل لما كان يحوط به وينصره ثم نهاه الله جل وعلا عن الاستغفار له، ثم إن النبي ﷺ أخبر أنه من أهل الجحيم: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ وليس الاستغفار نافعًا لأصحاب الجحيم ، وقد أنزل الله في حقه: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾، ولكن شفّع الله نبيّه ﷺ كرامة له في أبي طالب في تخفيف العذاب فقط أما الخروج منه فإن عذاب جهنم لأبي طالب سيكون خالداً مخلداً ولكن عذابه ليس كعذاب غيره من المشركين وإن عذابه أقل عذابا من أولئك.

الدليل من السنة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذُكر عنده عمه (**فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**). وهذا العذاب هو أخف أنواع عذاب المشركين، وأبو طالب حينما يعذب بهذا العذاب يرى أنه أعظم الناس عذابا بينما هو أخف المشركين عذابا.

مسألة تتعلق بشفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب

قال تعالى في حق المشركين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ والنبي ﷺ شفع لأبي طالب وقبلت شفاعته فهل هذه الآية تعارض شفاعة النبي ﷺ؟

فالجواب أن نقول:

إن هذه الآية وشفاعة النبي ﷺ لا تعارض بينهما وذلك أن هذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ والآية عامة في حق الكفار فهذه الآية محمولة على أنها عامة والحديث على أنه خاص بأبي طالب

يقول البيهقي رحمه الله: "صحت الرواية في شأن أبي طالب فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية ووجهه عندي أن الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق بأنه لا يشفع فيهم أحد وهو عام في حق كل كافر فيجوز أن يُخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه، وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيه تطييبا لقلب الشافع لا ثوابا للكافر لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباء" هذا كلام البيهقي رحمه الله.

.

وهناك وجه آخر وهو أن معنى المنفعة في الآية ليست هي المنفعة في الحديث فالمراد بها في الآية الإخراج من النار والمراد بها في الحديث تخفيف العذاب

وهذا القول جزم به القرطبي رحمه الله، يعنى أن الله جل وعلا لما قال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ النفع هنا يراد به نفع الإخراج من العذاب. ونفع النبي ﷺ بشفاعته لأبي طالب إنما هي نفعه في التخفيف عنه من العذاب وفرق بين الأمرين فتبقى الآية عامة في الكفار جميعا حتى في أبي طالب، فأبو طالب لا تنفعه شفاعة الشافعين في مسألة الإخراج من النار، وإنما في نفعه ﷺ له في التخفيف عنه من العذاب، وهذا كما تقدم فرق بينه وبين النوع الآخر. فهذه الشفاعة شفاعة النبي ﷺ خاصة لأبي طالب.

الباب الرابع

التوسل وأنواعه

ذكر أهل العلم أنواعا للتوسل يتبين بها الجائز من المحرم مما هو شرك، حتى لا يقع الإنسان في المحرمات أو في البدع أو في الأمور الشركية وهو لا يشعر

التوسل الجائز وله عدة أقسام:

١ التوسل إلى الله جل وعلا **بأسمائه وصفاته:**

كأن يقول: **أسألك بأسمائك الحسنى أن تغفر لي**، فهذا الدعاء من **التوسل الجائز**، ومنه قول النبي ﷺ: "**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك**"، فتقول: (**يا رحيم ارحمني**)، (**يا غفار اغفر لي**)... وهكذا، **لكن ينبغي أن تجعل ما تتوسل به من الأسماء الحسنى موافقا لما تدعو به فتأتي بما يناسب الدعاء الذي تريده**، فإذا أردت الدعاء بالرحمة **فتقول: "يا رحمن ارحمني" وإذا أردت الدعاء بالمغفرة فتقول: "يا غفور أو يا غفار اغفر لي" ولكن لا تقول: "يا شديد العقاب ارحمني" أو تقول مثلا: "اللهم أهلك المشركين وقاتل الكفار برحمتك يا أرحم الراحمين"!**

هذا التوسل من أجلّ أنواع التوسل ومن أعظمها والله جل وعلا أمر بذلك في كتابه وأمر به النبي ﷺ، يقول الله جل وعلا: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، **فالشاهد عندنا** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فأنت تدعو الله جل وعلا بأسمائه الحسنى كما تدعوه جل وعلا بصفاته العلى **لكن دعاء الصفة نفسها لا يجوز**، فلا تقل مثلا: "يا وجه الله ارحمني، أو يا يد الله أعطني" **فإن هذا لا يجوز بل هو كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من الشرك** إنما تقول: "أسألك بوجهك الكريم، أسألك بنورك" **لكن لا تقل: "يا رحمة الله ارحميني، يا مغفرة الله اغفري لي" وإنما تقول: "يا رحمن ارحمني، يا غفار اغفر لي، يا تواب تُب علي".**

الأدلة من السنة:

الدليل الأول: ما جاء في الحديث: "**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني اسألك الجنة وأعوذ بك من النار**" فالنبي ﷺ سمع رجلا يدعو بهذا الدعاء المتقدم فقال النبي ﷺ لأصحابه: "**أتدرون بم دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم**" وفي رواية "**الأعظم**"؛ أي باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، فالنبي ﷺ أقر هذا الرجل على دعائه، بل إن النبي ﷺ بيّن فضل هذا الدعاء وهو أن هذا الرجل دعا باسم الله الأعظم.

الدليل الثاني: قوله ﷺ: "من كثر همّه فليقل: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي. إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا"، والشاهد هنا هو: "أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هو لك".

٢ التوسل إلى اللّه جل وعلا **بالأعمال الصالحة:**

فالإنسان يتوسل إلى الله جل وعلا بعمل صالح يقربه بين يدي دعائه، فإذا أراد مثلا أن يدعو، يدعو الله جل وعلا ببره لوالديه، يدعو بصدقة تصدق بها، بأداء نفل من الصلوات أدّاه، يدعو الله جل وعلا بأداء فرض أو فريضة من فرائضه التي فرضها علينا نحن المسلمين، فيدعوه بها ويسأل الله جل وعلا بها، ويقول مثلا: "اللهم إني أسألك بقراءتي لكتابك أن تغفر لي، اللهم إني أسألك بمحبتي لنبيك ﷺ أن تغفر لي، وهكذا **فتدعو الله جل وعلا بعملك الصالح.**

الدليل من السنة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ جل وعلا بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ - فالشاهد عندنا هنا هو تقديمه ما جرى منه من البر لأبويه، ثم قوله: (فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ) فهو لما ذكر العمل الصالح دعا الله جل وعلا أن يفرج عنهم فرجة- (فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ بِفَرَقِ أُرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ).

لكن ينبغي أن نتنبه إلى أمر

وهو **أن لا ندل على الله جل وعلا بأعمالنا الصالحة**؛ يقول الله جل وعلا: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) لأن أعمالنا إن كانت صالحة فالمنة لله وحده فهو الذي وفقك للعمل وامتن عليك بإعطائك جزاءه في الآخرة، **وفرق بين أن يتوسل الإنسان لله جل وعلا بعمله وبين أن يدل على الله بعمله، فالأول** يتوسل إلى الله جل وعلا بعمله **وهو قد جمع بين الرجاء بأن يقبل الله جل وعلا عمله ويجعله سببا لقبول دعائه وبين خوف ألا يقبل الله جل وعلا عمله** ثم إنه لا يقبل دعاءه بتوسله بهذا.

وأما الآخر وهو الذي يدل على الله جل وعلا فكأنه ضمن لنفسه بأن عمله صالح، وأنه يمنّ على الله جل وعلا بهذا العمل الصالح، **والإدلال على الله جل وعلا بهذه الأعمال والمنّ عليه لا يجوز. كما ذكر ذلك ابن القيم -رحمه الله- ومن قبله ابن الجوزي.**

٣ التوسل إلى اللّه جل وعلا

بطلب الدعاء من الأحياء الصالحين:

كأن يأتي إلى رجل يرجو صلاحه ويسأله أن يدعو الله جل وعلا له فهذا جائز فالنبي ﷺ وكذلك الصالحون إنما يتوسل بدعائهم وهم أحياء.

الدليل من القرآن:

قوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ فالنبي ﷺ يستغفر للناس حال حياته ﷺ.

الأدلة من السنة:

الدليل الأول: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما طلب أبو عامر من النبي ﷺ أن يدعو له فقال النبي ﷺ: **"اللهم اغفر لعبيد أبي عامر"** ثم طلب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه من النبي ﷺ أن يدعو له فدعا له.

الدليل الثاني: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا **وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ"** فهذا توسل بالعباس بن عبد المطلب بعد موت النبي ﷺ، **لكن هل توسل عمر رضي الله عنه ومن معه من الصحابة بالعباس توسلا بذاته أو أنهم كانوا يدعونه؟!** لا، **إنما كان توسلهم به توسلا بدعائه**، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه فسر قوله: "إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ فَاسْقِنَا" يعني أنهم كانوا يطلبون منه الدعاء ولهذا قال عمر: **"قم يا عباس بن عبد المطلب وارفع يديك وادع الله لنا".**

الدليل الثالث: الرجل الذي جاء والرسول ﷺ يخطب فأخبره بأن الماشية قد هلكت وأنه جرى عليهم من قحط السماء ما جرى فطلب من النبي ﷺ الدعاء، فدعا النبي ﷺ ثم إن ذلك الرجل جاء بعد ذلك والنبي ﷺ يخطب **وطلب منه أن يدعو الله أن يرفع هذا المطر فدعا الله لهم النبي ﷺ فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ** ومع هذا كله يغلط كثير من الناس حينما يظنون أن هذا توسل بذات العباس ثم يقيسون عليه ما عداه من الأولياء ومن الصالحين أو ممن يزعم أنه من الأولياء أو الصالحين وليس كذلك.

يغلط كثير من الناس

حينما يصيبه مرض أو مصيبة في بدنه أو ماله فيقول: إني كنت أفعل كذا وكذا فلماذا فعلت بي يا رب كذا وكذا؟ ولماذا لم تفعل بفلان العاصي كذا وكذا؟ وأنا الذي استخدمت هذا العمر في طاعتك ونحو ذلك فيجعل ذلك منّة على الله جل وعلا فهذا من الخطورة بمكان فلا يجوز للعبد المسلم أن يفعل مثل هذا الفعل.

التوسل الممنوع وله عدة أقسام:

القسم الأول:

التوسل إلى الله جل وعلا بسؤال الأموات ودعائهم.

وهو أن يدعو الرجل صاحب القبر فيقول: يا رسول الله: فرج همي، يا رسول الله: اشفِ مريضي، يا رسول الله: ارزقني، **وهكذا فهذا دعاء للميت.**

القسم الثاني

التوسل إلى الله جل وعلا بطلب الدعاء من الأموات.

وهو أن يطلب من الميت الدعاء أو الشفاعة كأن يقول: يا رسول الله: ادع الله أن يغفر لي، يا رسول الله: اشفع لي، يقول هذا بعد موته ﷺ .يا إبراهيم: ادع الله أن يغفر لي، يا موسى: اشفع لي عند ربك.

هذان القسمان شرك أكبر مخرج من الملة، من مات عليه فهو خالد مخلد في النار، يقول الله جل وعلا: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ فهم زعموا أن هؤلاء شفعاء عند الله جل وعلا فبيّن الله جل وعلا بُطلان شفاعتهم ويقول جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ فسمّاهم الله جل وعلا كذابين وكفارا، **فهؤلاء زعموا أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فإذا كان هؤلاء لا يدعون الأصنام أن تغفر لهم أو ترحمهم؛ إنما يدعون الأصنام (لتشفع لهم) فإن دخول من دعا الصنم ليغفر له أو أن يزيل كربته أو أن يفرج همه أو نحو ذلك من باب أولى أن يكون مشركا بالله جل وعلا.**

القسم الثالث:

التوسل إلى الله جل وعلا بذوات المخلوقين.

كأن يقول الرجل: **اللهم إني أسألك بنبيك ﷺ،** أو أسألك بعلي رضي الله عنه.

القسم الرابع:

التوسل إلى الله جل وعلا بجاه المخلوقين وحقهم.

كأن يقول الرجل: **اللهم إني أسألك بحق فلان الصالح أو جاه** فلان أن تغفر لي.

وهذان القسمان الأخيران بدعة ومحرم ولا يجوز، لكنها ليست شركا أكبر بل وسيلة إليه، لذا هي (شرك أصغر)، لكنه شرك غير مخرج من الملة لكن كما لا يخفى أن الشرك أعظم الذنوب، وأن العلماء اختلفوا في الشرك الأصغر هل يغفره الله جل وعلا أو أنه لا يغفره إلا بالتوبة لأن الله جل وعلا يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ **وهذا الذي أشرك شركا أصغر غير داخل تحت المشيئة** كما هو القول الصحيح من أقوال أهل العلم **تأدبا مع الله جل وعلا** لأنه قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ وهذا أشرك بالله جل وعلا.

الباب الخامس

دعاء غير الله

دعاء غير الله تعالى

دعاء غير الله وسؤاله حرام لا يجوز، لأن الدعاء عبادة ويقول النبي ﷺ: "**الدعاء هو العبادة**" والعبادة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، يقول جل وعلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فهذا دليل على أن الدعاء عبادة، وكثير من الناس صرفوا حق الله جل وعلا لغيره فدعوا الأموات والغائبين ودعوا الحاضرين بما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا.

مراتب دعاء غير الله التي هي شرك أكبر مخرج من الملة:

المرتبة الأولى: سؤال الميت حاجة من الحاجات أو الاستعانة به

كسؤاله تفريج الكربات وإغاثة اللهفات ونحو ذلك فهذا سواء استغاث به عند قبره أو ناداه من مكان بعيد، كمن يقول وهو في أقصى المشرق: يا رسول الله: أغثني، أو يا رسول الله: اغفر لي، أو أن يكون عند قبر النبي ﷺ فيقول هذا القول يا رسول الله: فرّج كربتي، فلا يجوز صرف شيء من أنواع الدعاء لغير الله بهذه الصيغة أو بغيرها إنما يتوجه بالدعاء إلى الله جل وعلا وحده.

المرتبة الثانية: سؤال الحي الغائب من مسافات بعيدة بحيث لا يسمعه المدعوّ

فهذا شرك أكبر سواء كان المدعو قادراً عليه لو كان حاضراً أو كان غير قادر عليه. فإذا دعاه وكان غير قادر عليه فهو شرك أكبر. وإذا دعاه وهو قادر عليه لكنه من مسافات بعيدة لا يسمعه المدعو فإنه حينئذ يكون شركا أكبر أيضًا. لكن ينبغي أن نراعي أحوال الاتصال الآن فقد أكون في أقصى المشرق ويكون هناك رجل صالح في أقصى المغرب وبيني وبينه مثلاً وسيلة اتصال كهاتف أو شبكة انترنت ونحوه وأكلمه وأقول يا فلان: ادعُ الله لي، يا فلان: أعطني من مالك، **فهذا جائز لأنه في منزلة من هو حاضر عنك ومن هو قادر على ذلك.**

المرتبة الثالثة: سؤال الحي الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا

كأن يأتي حيّ حاضرٌ إلى حيّ حاضرٍ معه في المجلس ويقول له: يا فلان اغفر ذنبي فيسأله مغفرة الذنوب، لا يسأله أن يدعو الله له مغفرة الذنب لا بل يطلب منه المغفرة! أو يا فلان: أدخلني الجنة. **فهذا شرك أكبر مخرج من الملة** أما إذا كان المدعو حياً حاضراً، لكن هناك ذنب وقعت فيه تجاه صاحبك كأن تكون ضربته، أو شتمته، فتقول له **يا فلان: اغفر لي ذنبي الذي أصابك مني، فهذا جائز لأن هذا مما يقدر عليه.**

المرتبة الرابعة: سؤال الميت أن يدعو الله -جل وعلا- له

كأن يأتي إلى إنسان في قبره أن يدعو الله له. والفرق بين هذه المرتبة والمرتبة الأولى: **أن الأول يدعو هذا الشخص مباشرة أن يغفر له وأما الآخر فهو يجعله بزعمه وسيلة،** فيقول لصاحب هذا القبر: يا فلان، يا ولي الله، يا رسول الله: ادعُ الله أن يغفر لي، نقول: **هذا شرك أكبر**

الحلف بغير الله تعالى

الحلقة ١٢:

الحلف لا يجوز إلا بالله جل وعلا أو بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى كأن تقول: **والله لأفعلن كذا، والذي نفسي بيده لأفعلن كذا، وعزة الله وجلاله وقدرته لأفعلن كذا، فهذا حلف بالله جل وعلا وبصفاته، فهذا جائز**، فالله جل وعلا يُحلف به وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

وأما الحلف بغير الله جل وعلا فهذا لا يجوز ودل على ذلك أدلة كثيرة.

الدليل الأول

عن عمر رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ) قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَوَ اللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ ﷺ ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا".

الدليل الثاني:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وهو يسير فِي رَكْبٍ وَعُمَرُ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا إِنَّ اللَّهَ جل وعلا يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ".

الدليل الثالث:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا فَقَالَ: لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ".

الدليل الرابع: عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: "من حلف بغير الله فقد أشرك".

إن الحلف بغير الله يكون تارة شركا أكبر مخرجا من الملة وتارة يكون شركا أصغر غير مخرج من الملة، وقد ذكر العلماء عليهم رحمة الله أنه يكون شركاً أكبر مخرجاً من الملة إذا عظّم الحالف من يحلف به كتعظيمه لله جل وعلا أو أشد فإذا اعتقد مساواته لله جل وعلا فقد خرج من الملة، وأما إذا لم يعتقد ذلك فيكون شركاً أصغر، فهو يختلف بحسب مقصد قائله وما يقوم بقلبه لهذا ترى بعض الناس ربما حلف بالله كاذبا ولكنه لا يمكن أن يحلف بغير الله كاذبا لأنه يخشى العطب ممن يحلف به كاذبا فهؤلاء في الحقيقة عظموا محلوفيهم أشد من تعظيمهم لله جل وعلا فابن مسعود رضي الله عنه يقول: " لئن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا" لأن الحلف بغير الله شرك ولو كان الحالف صادقا، وأما الحلف بالله جل وعلا بالله كاذبا فإنه معصية وليس شركا، والشرك أعظم من المعصية.

الباب السادس

الميثاق

مقدمة حول الميثاق

ورد الميثاق في كتاب الله جل وعلا وفي سنة رسول ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾. وهو حق أجمعت عليه الطوائف كلها وإن اختلفوا في تفصيله، لأنه لا يمكن إنكاره وقد جاء في كتاب الله جل وعلا.

أدلة الميثاق:

ورد الميثاق في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ . يقول الله عز وجل :

١. وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ{١٧٢} أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ{١٧٣}

٢. مَا أخرجه مالك في الموطأ وأحمد في المسند وأبو دَاوُدُ في السنن وغيرهم عنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ } فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُسْأَلُ عَنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُهُ رَبُّهُ الْجَنَّةَ وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ رَبُّهُ النَّارَ

٣. عَن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال : أي رب من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال ستين سنة قال : أي رب زده من عمري أربعين سنة فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته

هل الإخراج حقيقي وهل الإشهاد مقالي أو حالي ؟

القول الأول:

وهو قول طائفة من السلف والخلف أن لا إخراج ولا قول بل هو على سبيل المجاز ففسروا أخذ الميثاق والإشهاد عليهم بأنه هو الفطر على التوحيد

أدلتهم :

١) أن الإشهاد أتى في حديثين موقوفين
٢) أن الآية لم تنص على الإخراج من آدم بل قال من بني آدم
٣) أن الآية فيها من ظهورهم وليس من ظهره
٤) أن الآية فيها ذريتهم وليس ذريته
٥) أن في الآية وأشهدهم على أنفسهم ولابد في الشهادة أن يكون الشاهد ذاكرا
٦) وقال الله في الآية (أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين) ومعلوم أنا غافلون عن هذا الإخراج والإشهاد
٧) أنه أخبر أن الحكمة من هذا إقامة الحجة وإنما قامت الحجة بالرسل
٨) أنه قال عنهم (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل) فنفى عنهم حجة التقليد ولا يكون ذلك إلا بالرسل والفطرة
٩) أن الله لا يعذب إلا بعد الحجة والحجة إنما تكون بالفطرة والرسل
١٠) أن الله أشهد كل واحد على نفسه أن الله خالقه وهذا يكون بالفطرة

القول الثاني (الراجح) :

هو قول جماعة من السلف والخلف أن الإخراج حقيقي والإشهاد مقالي (الراجح) فهم أخرجوا في ذلك الوقت من ظهر آدم ونثرهم الله جل وعلا قبلا كما جاء في الحديث وكلمهم قبلا نثرهم بين يديه و كلمهم قبلا وكلموه . حينما أشهدهم شهدوا بكلام حقيقي .

والأدلة على ذلك:

١) أن الآية صريحة في أن الأخذ من الظهور حقيقة وأن الإشهاد قولا
٢) أن الأحاديث فسرت الآية وهي صحيحة صريحة
٣) أن الآية لا تنفي هذا القول بل تؤيده وهو التصريح بالقول

الحلقة ١٣:

الرد على أصحاب القول الأول:

١. أن هناك حديث أنس وهشام و أبي وكلها مرفوعة وجاء فيها الإشهاد والموقوف له حكم المرفوع لأن لا يعلم بالرأي
٢. أما مجيء الآية بلفظ الجمع لأن ذرية آدم أخرجت في ذلك الموقف على وفق الترتيب الذي يخرجون عليه واستغني عن ذكر ظهر آدم لأنه معلوم
٣. أما عدم تذكر الشهادة فهذا رأي في مقابل النص وعلى هذا يطرح الرأي والرسل هم الذين يذكروننا به فتكون الحجة قائمة
٤. أما أن الحجة لم تقم عليهم إلا بالرسل فهذا حق فلا تقوم الحجة إلا بالرسل وكذلك الفطرة ليست حجة وحدها فعلى التفسيرين لا تقوم الحجة إلا بالرسل
٥. أما أن الله لم يهلك المكذبين إلا بمخالفتهم للرسل لا لمخالفتهم للميثاق الأول فنقول أيضا أن الله لم يعذب الأمم إلا بمخالفة الرسل لا مخالفة الفطرة فعلى الحالين فالله لا يعذب إلا بعد الرسل

علم الله بأهل الجنة والنار وأعمالهم

الحلقة ١٤:

الله يعلم كل شيء والدليل:(إن الله بكل شيء عليم) (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ومن صنع الشيء لا بد أن يكون عالماً به وقادراً عليه، وعلم الله لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان وما ذكر في قوله (نسوا الله فنسيهم) فالمراد به الترك

النسيان نوعان:

١ – نوع ينتج عن عدم التذكر فيما مضى وهذا هو المنفي في قوله : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياً }

٢ – نوع ينتج عن العلم والترك قصدا وهو المذكور في قوله جل وعلا : { نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ }

إذا كان الله يعلم أهل الجنة والنار
فهل في هذا حجة لترك العمل؟

الجواب : لا.. لأن الله طوى علم ذلك عن العباد فلا يدري أحد من أي الصنفين هو والإنسان له قدرة ومشيئة على العمل ولو لم يكن ينفع العمل لكان الأمر به عبثا والله منزه عن ذلك

والأدلة :

حديث (اعملوا فكل ميسر لما خلق لهم)

وحديث (الرجل الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم هو من أهل النار فقتل نفسه ... إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدوا للناس وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم)

فقول النبي ﷺ : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار و إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة.

هذا هو الشاهد وهو دليل على علم الله جل وعلا بهم ، فإن قلت : من أين أخذ من أن الله جل وعلا علمهم ؟ قلتُ : أخذ من قوله ﷺ : " إلا وقد كتب الله " . والكتابة إنما تكون بعد العلم بالشيء ،

وحديث (جمع الخلق ... ويرسل له الملك فيكتب أجله ورزقه وشقي أو سعيد ...)

هذه الأحاديث دلت على أن علم الله جل وعلا لأهل الجنة وأن علمه بأهل النار لا يسقط التكاليف ، وليس حجة لأحد ، فالنبي ﷺ قال : إنما الأعمال بالخواتيم .

الباب السابع

باب القدر

مقدمة حول القدر

الإيمان بالقدر هو ركن من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بها كلها، فلو آمن عبد بركن من أركان الإيمان ولم يؤمن بها كلها لم ينفعه إيمانه بهذا الركن، ولو آمن بها كلها ولم يؤمن بركن من الأركان لم ينفعه الإيمان بالأركان تلك كلها، بل لا بد من الإيمان بها جميعها.

والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان بالله، وقد جاء ذكره ووجوب الإيمان به في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فالإيمان به مُتحتم على كل أحد، وقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر، وقد آمنت به الطوائف كلها على اختلافهم في التفاصيل في كيفية هذا الإيمان وفي تفسيرهم للقدر.

الحلقة ١٥:

١ أدلة القدر:

الأدلة من القرآن:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وهذا خبر من الله جل وعلا، والخبر من الله جل وعلا يجب الإيمان به وتصديقه.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾.

﴿لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً﴾.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ﴾.

الأدلة من السنة:

دلت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ على وجوب الإيمان بالقدر، وبلغت الأحاديث فيها مبلغ التواتر ومنها:

الدليل الأول: حديث جبريل عليه السلام الطويل وفيه قوله ﷺ لجبريل لما سأله عن الإيمان: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**).

الدليل الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدَرُ الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**).

فالنبي ﷺ قال: (**فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا**) يعني: أن هذا كائن بقدر الله جل وعلا، فليس يمكن أن تفعل خلافه، (**ولكن قل قدَرُ الله وما شاء فعل**) يعني: هذا وما جرى قدر الله جل وعلا، وما شاء فعله سبحانه.

الدليل الثالث: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: [قال رسول الله ﷺ: (**كل شيء بقدر حتى العجز والكَيْسُ أو الكيس والعجز**)] فقوله ﷺ: (كل شيء بقدر) هذا عام لا يخرج عنه شيء، فأعمال العباد كلها بقدر

.

٢ مراتب القدر:

المرتبة الأولى:

الإيمان بعلم الله جل وعلا

فعلمه جل وعلا محيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعَلِم الله جل وعلا ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون؟ وعَلِم الله جل وعلا ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعَلِم أرزاقهم، وآجالهم، وأحوالهم، وأعمالهم، وأعمارهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته، والذي هو مقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب.

الأدلة من القرآن:

قوله جل وعلا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾.

قوله جل وعلا: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

قوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

قوله جل وعلا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الأدلة من السنة:

الدليل الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سُئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين).

الدليل الثاني: عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار -يعني: أيعرفهم الله-؟، قال: (نعم)، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: (**كلٌّ يعمل لما خُلق له، أو لما يسر له**).

الدليل الثالث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه، كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها) قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟

قال : (الله اعلم بما كانوا عاملين)

المرتبة الثانية:

الإيمان بكتاب الله جل وعلا الذي لم يفرط فيه من شيء.

الأدلة من القرآن:

قوله جل وعلا: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾

وقوله جل وعلا عن موسى عليه السلام حين قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾، قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مَّبِينٍ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ من نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

إلى غير ذلك من الآيات التي يُقرن فيها بين إثبات العلم والكتابة، أو يُذكر كل على حدته.

الأدلة من السنة:

الدليل الأول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: [كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكَّس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال:(ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كُتبت شقية أو سعيدة) قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال ﷺ: (من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة) فقال: (اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة)، ثم قرأ: "فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى".

الدليل الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **"إن الله جل وعلا كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"**]

مسألة التقادير الداخلة في مرتبة الكتابة

الكتابة يدخل تحتها تقادير، وهي تقادير داخلة في الإيمان بكتابة المقادير وهي كما يلي:

التقدير الأول:

وهو التقدير الأزلي الذي هو قبل خلق السماوات والأرض عندما خلق الله جل وعلا القلم.

الدليل من القرآن:

قوله جل وعلا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

الأدلة من السنة:

الدليل الأول:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: [دخلت على النبي ﷺ، وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم، فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم)، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا -مرتين-، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) فقال: (إذ لم يقبلها بنو تميم)، قالوا: قبلنا يا رسول الله. قالوا:جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر، قال:(كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض)، فنادى مناد، ذهبت ناقتك يا ابن حصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها.

الدليل الثاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: [سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء)].

التقديرالثاني: كتابة الميثاق

يوم أن قال: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَنِي آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا من قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾.**

التقدير الثالث: هو التقدير العُمُري

وذلك عند تخليق النطفة في الرحم فيُكتب إذ ذاك ذكوريتها، وأنوثتها، والأجل، والعمل، والشقاوة، والسعادة، والرزق، وجميع ما هو لاق فلا يُزاد فيه ولا ينقص.

الدليل من السنة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: [حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها).

التقدير الرابع: التقدير الحولي في ليلة القدر

فيُقدّر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثله.

الدليل من القرآن:

الدليل الأول: قوله جل وعلا: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

الدليل الثاني: قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

التقدير الخامس: التقدير اليومي

وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قُدرت لها فيما سبق.

الدليل من السنة:

عن مُنيب بن عبد الله بن مُنيب الأزدي عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فقلنا: يا رسول الله، وما ذاك الشأن؟ قال: (أي يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين).

المرتبة الثالثة:

الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة

وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن. فما شاء الله جل وعلا كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، يقول جل وعلا: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾".

المرتبة الرابعة:

مرتبة الخلق

وهي الإيمان بأن الله جل وعلا خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله وهو خالق كل متحركٍ وحركته وخالق كل ساكنٍ وسكونه.

الدليل من القرآن

قوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

٣ خلاف الناس في القضاء والقدر:

أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر واختلفوا في تفاصيل هذا الإيمان. في الجملة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة:

يقولون بأن الله جل وعلا قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، علِمَها وكَتَبَها وخلقها وأنه جل وعلا يشاؤها.

وهذا القول هو الذي تدّل عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسول ﷺ، وإجماع الصحابة والتابعين ولا يحتمل الحق غيره

القول الثاني: قول الجبرية وهم طائفتان:

الطائفة الأولى: الجبرية الخالصة: وهذا مذهب جهم وأصحابه وهم الذين يقولون بأن العبد لا قدرة له ولا اختيار، وإنما تجري به الأقدار كما تجري الرياح بالريشة تحركها كيفما شاءت.

الطائفة الثانية: وهي الجبرية المتوسطة ويطلق عليهم الكسبية، **وهؤلاء هم الأشعرية** وحقيقة مذهبهم هو **إثبات قدرة للعبد غير مؤثرة**، فيقولون: بأن السكين لا تقطع وإنما يحصل قطع عندها لا بِـها، والعبد مجبورٌ على فعله وإنما يُفعل به، فحينما يَتكلم يُتكلم به، وحينما يَزني يُزنى به وهكذا. فقدرة هذا العبد عندهم غير مؤثرة، ومآل هذا القول إلى قول جهم، كما أقر بذلك بعض المحققين منهم **كالرازي**

القول الثالث: قول القدرية، وهم طائفتان:

طائفة أولى: (أنكرت العلم والكتابة) أنكرت علم الله السابق، وهؤلاء كَفَّرَهم السلف وهم الذين قال فيهم الشافعي رحمه الله: " **ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خُصموا وإن جحدوه كفروا". فهؤلاء المنكرون لعلم الله السابق، وهم الذين يقولون إن الأمر أُنف وإن الله جل وعلا لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها.**وهؤلاء خرجوا بآخر عهد صحابة النبي ﷺ وتبرأ منهم ابن عمر وابن عباس وغيرهم ممن أدركوا ذلك الزمان.

الأدلة على خروج القدرية في ذلك الزمان:

الدليل الأول: عن يحي بن يعمر قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة **معبدٌ الجهني** فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجّين أو معتمرين، فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوُفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن و يتقفرون العلم وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: "حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ثم ذكر حديث جبريل عليه السلام الطويل).

الدليل الثاني:

أخرج اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أن رجلاً قدم يكذب بالقدر فقال ابن عباس رضي الله عنه: دلوني عليه وهو يومئذ أعمي، قالوا: وما تصنع به؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته بيدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كأني بنساء بني فهرٍ يطفن بالخزرج تصطفق أَلَيَاتهن مشركات، هذا أول شرك في الإسلام، والذي نفسي بيده لا ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدّر خيراً كما أخرجوه من أن يقدّر الشر**).فهذان دليلان أن هذه الفرقة خرجت زمن صحابة النبي ﷺ وأن الصحابة الموجودين ذلك الوقت تبرءوا منهم.

الطائفة الثانية:

هي التي أنكرت المرتبتين الأخيرتين وهما: **مرتبة المشيئة والخلق**.

وهؤلاء هم المعتزلة ومن أخذ بمذهبهم وهم مجوس هذه الأمة. يزعمون أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، وأن الله جل وعلا غير خالق لها وغير قادر على ذلك.

فهذه الطائفة لها قسمان:

القسم الأول: طائفة أنكرت العلم والكتابة. **القسم الثاني**: طائفة أنكرت الخلق والمشيئة.

٤ منشأ الضلال في مسائل القدر:

إن منشأ الضلال في هذه المسألة، هو التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا.

الجبرية قالوا : الكون كله بقضاء الله وقدره فيكون محبوبا مرضيا فالمعاصي مرضية له لأنه شاءها

القدرية قالوا : ليست المعاصي محبوبة ولا مرضية لله فليست مقدرة فهي خارجة عن مشيئته وخلقه

وأهل السنة قالوا : إن مشيئة الله وإرادته غير محبته ورضاه فالله يحب شيئا ولا يشاءه فلا يقع ويشاء شيئا ولا يحبه

والرد على القدرية والجبرية: نقول لقد دل كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والفطرة والعقل الصحيح على الفرق بين المشيئة والمحبة

من الكتاب

١. (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله)
٢. (وما تشاءون إلا أن يشاء الله)
٣. (والله لا يحب الفساد)
٤. (والله لا يحب كل كفار أثيم)
٥. (إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر)

فآيات المشيئة دلت على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

وآيات المحبة دلت على أن هناك أشياء لا يحبها الله ولا يرضاها وقد وقعت

فهذا دال على الفرق .

نصوص المشيئة من السنة :

١. البخاري(قصة حصار أهل الطائف وفيها(إنا قافلون غدا إن شاء الله)
٢. البخاري(ننزل غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر)

نصوص المحبة والرضا

(إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا...)

فيرضى لكم:١- أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً, ٢- وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ٣-ولا تفرقوا

ويكره لكم١- قيل وقال ٢-,وكثرة السؤال٣-, وإضاعة المال).

وهذه النصوص دلالتها كدلالة النصوص القرآنية, فهي فرقت بين المشيئة وبين المحبة والرضا فهناك أشياء يكرهها الله تعالى ولا يحبها, ومع ذلك فقد وجدت لأنها تعلقت بالمشيئة المستلزمة لوقوع

الفطرة

إن الناس مفطورون على قول إن الله يحب هذا ويكره هذا ويقولون فلان يفعل ما يحب الله وفلان يفعل ما يبغض الله وكلها واقعة بمشية الله وكلها واقعة بمشيئة الله وقدرته

إذا فعل فعلاً يكرهه الله ويبغضه ,ما حاله ؟

نقول بأنه فعل فعلاً يبغضه الله ويكرهه ديناً وشرعاً ، ويحبه الله جل وعلا كوناً وقدراً .

فالله جل وعلا يحبه كوناً وقدراً ، والله جل وعلا يكرهه ويبغضه ويسخطه ديناً وشرعاً ، ولا تعارض بين الأمرين. والله جل وعلا يريد المعاصي كوناً وقدراً ولو لم يردها كوناً وقدراً لم تقع .

ويبغض المعاصي ديناً وشرعا ، ولهذا فالعبد إذا فعل الطاعة فإنه يكون أخذ بمحبة الله وإرادة الله الدينية الشرعية التي وافقت الإرادة الكونية

، فالعبد المطيع اجتمعت فيه الإرادتان : الإرادة الكونية, والإرادة الشرعية المقتضية للمحبة.

وإذا فعل المعصية فإنه يكون حينئذ فعل وفق الإرادة الكونية ولم يفعل وفق الإرادة الدينية الشرعية المسلتزمة للمحبة والرضا . فهذا هو دليل الفطرة

العقل

العقل لا يمنع أن يريد الإنسان شيئا وهو لا يحبه مثل (المريض يكره الدواء المر ولا يحبه وهو يتقصد شراءه ويريد أن يشربه(مراد لغيره) , والفطرة والعقل الصحيح على أن هناك فرق بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا.

لهذا لما لم يفرق بينها الجبرية والقدرية, أخطئوا في مسالة القضاء والقدر ,فقالت الجبرية ما يجري من المعاصي كله محبوبٌ لله جل وعلا ،

.وقالت القدرية انه ما يجري من المعاصي لا يحبه الله جل وعلا ، لأنهم قالوا لا فرق بينها ثم اختلفوا هذا الاختلاف. يقولون كيف يخلق الله جل وعلا فعل العبد ثم يعذبه عليه ؟

فنقول أن مناط الثواب والعقاب هو فعل العبد الاختياري فهو يثاب على فعله ويعاقب عليه ، وفعله من خير أو شر لا يخرج عن كونه خلقاً لله عز وجل ,لأن الله تبارك وتعالى يقول: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ }الزمر٦٢.

وهذا اَلشيء يدخل فيه أفعال العباد ، والعجب أن المعتزلة أخرجت من هذا العموم ؛عموم قوله تعالى : {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } أفعال العباد ، بينما أدخلت كلام اللَه جل وعلاَ (القرآن) فزعمت أن القران مخلوق لعموم قوله تعالى :{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } وهم متناقضون في هذا

أما أهل السنة والجماعة, فقالوا أن هناك فرق بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا فسلموا من الوقوع في هذه الأخطاء والضلالات, التي وقعت فيه الجبرية والقدرية.

الحلقة ١٧:

هذا السؤال يقول :

كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه ، وكيف يشاءه ويكونه ، وكيف تجتمع إرادته له وبغضه وكراهته ؟

يعني أنهم يقولون إننا نرى أموراً هي معاصي والله جل وعلا شاءها وخلقها فكيف يريدها ، وكيف يخلقها وهو لا يرضاها ولا يحبها ؟وكيف يشاء يُكونُها ، وكيف تجتمع الإرادة والبغض والكراهة ؟

والجواب أن يقال إن السبب في طرح هذا السؤال هو عدمُ معرفة أن المراد نوعان

المراد نوعان :

١- مراد لذاته(الشراب الحلو) (يجتمع فيه الإرادة والمحبة)

فالمراد لنفسه, مطلوبٌ محبوبٌ لذاته ومحبوبٌ لما فيه من الخير فهو مرادٌ إرادة الغايات والمقاصد ، فهذا هو المراد لنفسه. يعني أنه هو المقصود بالإرادة

١. مراد لغيره (الدواء الكريه)(قطع العضو المتآكل)(يجتمع فيه الإرادة والكراهة) والمرادُ لغيره ليس مقصوداً لذاته ولا فيه مصلحةٌ له بالنظر إلى ذاته ، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ومراده فهو مكروه له من حيث نفسهُ وذاتهُ ، مراداً له من حيث إفضاءهُ وإيصالهُ إلى مراده

الحلقة ١٨:

وهو كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه وكيف يشاءهُ ويكونهُ ، وكيف تجتمع إرادتهُ لهُ وبغضهُ وكراهتهُ ؟

وذكرنا أن السبب لطرح هذا السؤال هو عدم تفرقة هؤلاء ومعرفتهم بين نوعيي المراد وهو المراد لنفسه (إرادة الغايات) ومراد لغيره(وليس هو مراداً لنفسه

ولا يتنافيان لماذا لا يتنافيان ؟

لا يتنافيان لاختلاف مُتعلقهما ، فالإرادة لها مُتعلق والبغضُ والكراهيةُ لهَا متعلق

الأمثلة على اجتماع الإرادة مع كراهة الشيء (بالنسبة لله) :

١. إبليس

ملاحظة(بأنه لولا وجود خلق إبليس لتعطلت تلك الحكم)

ومن المرادات المحبوبة في خلق إبليس أضعاف ما في خلقه من المفاسد ومن هذه الآثار :

أ. ظهور قدرة الله على خلق المتضادات

ب.ظهور آثار أسماءه القهرية مثل (القهار – ذي البطش الشديد)

ت.ظهور آثار أسماءه المتضمنة لحلمه وعفوه

ث.ظهور آثار أسماءه المتضمنة للحكمة وللخبرة

الحلقة ١٩:

ج. حصول العبوديات المتنوعة المحبوبة لله مثل :

(الجهاد – المولاة والمعاداة في الله – الصبر – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الاستعاذة – التوبة)

● **فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون وجود هذه الأسباب؟ يعني بدون وجود إبليس هل يمكن أن توجد تلك الحكم بدون وجود إبليس؟.**

هذا سؤال فاسد فيه فرض وجود الملزوم بدون لازمه مثل (الولد بدون والد) والفاسد لا يجاب عليه

إلا فيمن خلقه الله جل وعلا آية كآدم عليه السلام ,فآدم عليه السلام وجد بغير والد

● إذا كانت هذه الأسباب مراده لما تفضي إليه من الحكم فهل هي مرضية محبوبة من هذا الوجه أم مسخوطة من جميع الوجوه ؟

هذا السؤال له جهتان :

من جهة الرب جل جلاله هل يكون محباً لها من جهة إفضائها إلى محبوبة وإن كان يبغضها لذاتها؟

من جهة المخلوق وهو أنهُ هل يسوغُ له الرضا بها من تلك الجهة أيضا؟

فالشر والخير نسبي(والشر هو عدم الخير)

والشر ظلم وهو وضع الشيء في غير محله فإن وضع في محله كان خيرا ولو كان مكروها من جهة

فالشر من جهة وجوده ليس بشر ولكنه شر لما قطعت عنه مادة الخير

الحلقة ٢٠:

مثال:

القصاص فهو خير بما يفضي إليه وإن نظرت إليه من حيث محله فهو شرا لمن يقع عليه

أسباب الخير :

١. الإيجاد (الخلق) فإيجاد هذا خير وهو إلى الله عز وجل فوجود الشيء من حيثُ وجوده يُعدُّ خيرا .

٢. الإمداد (مثل إلهامه العلم) : إعداده بحيث يكون قابلاً للخير إعداده بحيث يكون محلاً قابلاً للخير

٣. الإعداد (بحيث يكون قابلا للخير) : إمداده بحيث يُمد بالخير كإلهامه العلم النافع

● والشر عدم واحد من هذه الأسباب، فمن عدم إمداد الخير أو إعداد الخير أصبح شرا مع أن إيجاده خير

● إذا كان أوجده لماذا لم يمده بالخير؟

تبعا لحكمته لأن حكمته لم تقتض إمداده بل اقتضت إيجاده وترك إمداده

معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم:(والشر ليس إليك)

فالمعتزلة القدرية ومن وافقهم قالوا : هذا دليلٌ على أن الله عز وجل لا يخلقُ الشر لأنه قال: والشر ليس إليك .

وأما أهل السنة والجماعة فيقولون: إن الشر من خلق الله عز وجل لا يخرج عن كونه خلقاً لله لأننا لو أخرجناه كونه خلقاً لله عز وجل لكان الخلقُ خالقين والله عز وجل خالق كل شيء

إذن :معناه أنك لم تخلق شراً محضا وما خلقتهُ من شرور فإن هذه الشرور ليست شروراً محضة وإنما هي خيرٌ من وجهٍ آخر فالشر جاءها من عدم إمدادها ومن عدم إضافتها إلى الله عز وجل, فأجاده إذن خير وجود الشيء من حيثُ وجوده خير وهو إلى الله عز وجل، فإذا عُدم شيء منها حصل الشر فإن لم يحصلُ إمداده ولا إعداده حصل فيه الشر وإنما إليه ضده ما هو ضده ؟ هو الوجود فالشر إذن من أين جاء ؟

نقول الشر جاء من العدم لا من الوجود وجود الشر من حيثُ وجوده ومن حيث إيجاد اللهُ جل وعلا له ومن حيثُ خلقهُ مشيئته يُعدُ خيرا فإن أُعد هذا الوجود وأُمد حصل الخير , وإن لم يُعد أو يُمد فإنه يكون شرا

الحلقة ٢١:

● لماذا لم يمد المجودات كلها ؟

هذا سؤال فاسد لأن مورده يظن أن التسوية أبلغ في الحكمة من التفاوت وهذا جهل ،وإنما الحكمة في وجود التفاوت لا في الإيجاد ولكن في الإمداد

من أين يأتي التفاوت بين الأشياء ؟

يأتي التفاوت بين الأشياء من جهة العدم فإذا عدم الشيء جاء التفاوت بين الأشياء وإلا ليس في خلقه تفاوت فالتفاوت إنما هو في الأمور العدمية أو وقع لأمور عدمية لم يتألف بها الخلق وإلا فليس ولله الحمد في خلق الرحمن من تفاوت .

● كيف يرضي الله لعبده شيء ولا يعينه عليه ؟

إنه لم يعنه عليه لأن:

أ. إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب أعظم من حصول هذه الطاعة

ب. فعله له قد يستلزم مفسدة أكره من محبته لتلك الطاعة

ومثاله :

{وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ }٤٦{لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ }التوبة٤٧

فالجهاد محبوب ولكن خروج هؤلاء يؤدي إلى مفسدة مكروهه أعظم من هذه الطاعة

مثال آخر هو أن بعض الأئمة قد يكون صوته في تلاوة القرآن حسنا وجميلا ومؤثرا في الناس ولو قرأ وقراءته طاعة لكان خيرا للمستمعين إليه ولكن الله عز وجل يثبطه عن القراءة ويمنعه من ذلك لأجل مصلحة كبيرة للناس وهي عدم الافتتان به فتلاوة القرآن وهذا الصوت الحسن سيؤثر في الناس لكن هذا الأمر قد يفضي إلى مفسدة أو يفوت مصلحة كبيرة فيفضي إلى افتتان الناس به فيؤدي إلى شر عظيم

ما سبق من جهة الرب

أما من جهة العبد :

العبد يسخط المعاصي ويكرهها من حيث هي كسبه

ويرضاها من حيث هي كتابة الله وقدره وعلمه فالمرضي ما كان إلى الرب لأنه فعله وصفته والمكروه ما كان إلى العبد من فعله وكسبه

الحلقة ٢٢

● يقول بعض الجبرية ليس إلى العبد شيء من أفعاله ؟

لماذا ؟

لأنهم يقولون لان الله عز وجل هو الذي يفعل فعله ويعذبه على فعله فيه

هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن معه التخلص من هذا المكان الضيق

والقدري المنكر أقرب إلى التخلص منه من الجبري .

فهؤلاء عارضوا بين أمر الله الديني الشرعي وبين إرادته الكونية القدرية . تركوا الأوامر والنواهي وفعلوا ما نهو عنه . لموافقة الإرادة الكونية القدرية .

كثير من الأصوليين غلطوا في هذا ففسروا الطاعة بأنها موافقة مراد الله و موافقة مشيئة الله وليس الأمر كذلك, **بل الطاعة موافقة الأمر الديني الشرعي وليست موافقة القدر والمشيئة**

● كيف يتأتى الندم مع شهود الحكمة وقيومية الله عز وجل ؟

لأن طاعة الله هي موفقة إرادته الشرعية لا الكونية

وعندما يشهد العبد كمال فقره وحاجته إلى ربه وفقه الله وعصمه

● **إذا كان الكفر من قضاء الله وقدره ونحن مأمورون بالرضا بقضاء الله فكيف نكره الكفر وننكره وهو من قضاء الله؟**

أ. نحن غير مأمورين بالرضا بكل ما قدر الله (بل من القضاء ما يسخط ومنه ما يجب الرضا به)

ب.أن قضاء الله

إما فعله وصفته (فهذا كله خير وعدل وحكمة نرضى به كله)

أو مفعول منفصل عنه(فهذا منه ما يرضى به ومنه مالا يرضى به)

ت.القضاء له وجهان :

الأول متعلق بالرب فهذا مرضي به

الثاني متعلق بالعبد فهذا منه ما يرضى وما لا يرضى

المثال :قتل النفس من حيث قدره الله وجعله أجلا له يرضى به

ومن حيث أن العبد أقدم عليه باختياره وعصى به ربه فنسخطه

الحلقة ٢٣:

حكم الكلام في مسألة القدر:

جاء القدر مفصلا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا ذكر القدر فأمسكوا)
النصوص لا تتعارض وإنما التعارض يقع في أعين الناظرين)
لما جاء الحديث (إذا ذكر القدر فأمسكوا) ذهب طائفة من أهل العلم ممن صححوا هذا الحديث إلى القول بأنه
١. القول الأول المنع يجب الإمساك عن الكلام في القدر ومسائله الحديث

٢. القول الثاني الجمهور (يجوز الكلام في مسائل القضاء والقدر إذا كان مما جاءت به النصوص وهو الصحيح)
والرد على الاستدلال بهذا الحديث أن المراد بالكلام الكلام الباطل واحتجوا بـــأن :
أ. الإيمان بالقدر مما يجب ولا يكون إلا بعد العلم به وفهمه والعلم به وفهمه لا يكون إلا بعد الكلام فيه
ب. كثرة النصوص التي جاءت في الكلام عن القدر والله أمرنا أن نتدبر آياته ولا تدبر إلا بفهم وكلام
ت. في الحديث دلالة على أن الإمساك عن الكلام في القدر إنما يكون عن الكلام الباطل أما الكلام بحق فلا يمسك عنه

وتتمة الحديث فيه (وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا)
ومعلوم أن الكلام في مناقب الصحابة مطلوب بل مستحب
فيتضح أن الممنوع هو الكلام الباطل
وفي الحديث (وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا) والله قد ذكرها في كتابه فلابد أن الناس يتكلمون فيها وعظمة من خلقها وكيف يهتدي بها وغير ذلك والممنوع إنما هو ما كان بغير حق كالاستسقاء بها
الخلاصة أن الممنوع هو الكلام في القدر بالباطل أما الكلام فيه بحق فليس ممنوع

التعمق في القدر:

الحلقة ٢٤:

التعمق مذموم والتنقير عن مسائل لم يرد بها الشرع مذموم وكثرة السؤال عنه مذمومة
والتعمق طريق الخذلان والخذلان الذي وقعت فيه الفرق إنما وقعت نتيجة لتعمقها وتكلمها فيما لا يجوز لها الكلام فيه, وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (عزمت عليكم ألا تنازعوا في القدر), فتعمق هؤلاء فوقع بينهم النزاع في القدر فخالفوا نهي النبي ﷺ ,

ولذا لما تعمقوا في هذه المسائل وجدناهم طوائف:
١-فطائفة تنفي علم الله تبارك وتعالى بالأشياء أزلاً وكتابته لها, وتزعم أن الأمر أُنُفٌ وان الله تبارك وتعالى لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وقوعها منهم .
٢- ووجدنا طائفة أخرى تنكر مشيئة الله جل وعلا وخلقه لأفعال العباد وهذه أخرجت شيء من ملك الله جل وعلا عنه.

٣-ووجدنا طائفة أخري تزعم أن الحجة قائمة على الله جل وعلا لأنه جبر العباد على أفعالهم ثم عذبهم عليها,
وهذا من الغلو وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إياكم والغلو)
وقد وجد بعض السلف في نفوسهم شيء من القدر فلما ذهبوا إلى الصحابة أخبروهم ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم زال ما في نفوسهم

وأما أهل السنة والجماعة فتجدهم يجمعون بين الأمرين يعتقدون إن الله جل وعلا هو خالق أفعالهم وأنهم هم الفاعلون لأفعالهم وإنهم محاسبون مجزيون

الحلقة ٢٥:

حكم الاحتجاج بالقدر:

● القدر ليس حجة للعبد في ترك الواجبات وفعل المحرمات بل هو باطل وذلك من وجوه :

١. (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

فلو كان القدر حجة ما أذاقهم الله بأسه

فكأنهم يقولون أن الله ما دام أنه قادر على أن يجعلنا مؤمنين ولم يفعل فهذا دليل أنه رضي الشرك لنا فلهذا كذبهم الله

٢. (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على حجة بعد الرسل)

فلو كان القدر حجة لكان حجة بعد الرسل ولما كان الرسل قاطعين للحجة

٣. ثبت عن النبي ﷺ انه قال (ما منكم إلا وقد كتب مقعده من الجنة والنار) فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل فقال عليه الصلاة والسلام لا اعملوا فكل ميسر ثم قرأ (فأما بخل واستغنى ...) وفي لفظ فكل مسير لما خلق له

فعلم الله بمنازل أهل الجنة والنار ليس حجة لترك العلم لأن ما كتب لا يعرفه إلا الله

٤. أن قدر الله سر مكتوب (وهو سر الله في خلقه) وما دام سر لا يُعلم فكيف يكون حجة بل يكون الاحتجاج به على المعاصي ظنا سيئا بالله لأنه يظن أن الله لا يوفقه للخير

الحلقة ٢٦:

٥. أننا نرى الواحد يحرص على أمور دنياه ولا يفرط فيها فإذا ما جاء أمر الآخرة أعرض واحتج بالقدر أليس هذا تناقض (التناقض حال المبطلين)

٦. أن الواحد لو اعتدى عليه أحد فلا يقول هذا مكتوب علي وعليه فكيف يحتج بالقدر في أمر الآخرة وهذا تناقض

٧. أن القدر لو كان حجة لبطلت الشرائع وعطلت الحدود ولما كان في إرسال الرسل وإنزال الكتب فائدة

٨. أن الاحتجاج بالقدر على المعاصي يستلزم ظن السوء بالله واتهامه بالظلم والله قد تمدح بنفي الظلم عن نفسه لكمال عدله

ملاحظه (القدرية خير الجبرية في هذا الباب باب القدر. كيف ذلك ؟

لان القدرية : يعظمون أمر الله تعالى ويعظمون شرعه .

أما هؤلاء الجبرية المحتجين على الله جل وعلا بالقدر الذين جعلوا القدر حجة لهم لا يعظمون الشرائع ولا يرفعون بها رأسا .فهم من شر الناس , وهم موجودون, احدهم كما ذكر أهل العلم كان يحتج عن إبليس فيقول لو كنت مقام إبليس لقلت كذا وكذا ’لان إبليس قال { فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي } وجوه الرد على الجبرية وهي كثيرةٌ جداً ذكَرها أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى في كتابه الاحتجاج بالقدر

٨ ثمرات الإيمان بالقدر: الإيمان بالقدر له ثمرات عظيمة وفوائد كثيرة فمن أعظم الثمرات:

الثمرة الأولى:

الاعتماد على الله جل وعلا والتوكل عليه عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على نفسه ولا يثق بها، بل يفعل السبب وهو يعلم أن الله جل وعلا قادر على منع هذا السبب من التأثير بمسببه، وفعل الأسباب لا ينافي التوكل بل هو من جملة التوكل، فالسبب لا بد له من مسبب إلى أن ترجع الأسباب كلها خلقا وإيجادا إلى الله جل وعلا والتوكل على الله جل وعلا من الإيمان به: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، فالتوكل على الله عبادة من العبادات، ولا يدعه إلا ضال، والتوكل من جملة الأسباب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، ومن الأمثلة التي تبين أنه ما من شيء وما من سبب إلا ويحتف به من الأسباب الشيء الكثير وجودك أنت من هذين الأبوين يكون لما يقع بين الرجل وأهله. فالأبوان تعرف بعضهما على بعض، كيف حصل هذا، من الذي ذكر أمك لأبيك وهذا الذي ذكر أمك لأبيك كيف تعرف على أبيك؟ وهذا الأب وهذه الأم جاءوا من آباء لهم وأمهات، كيف تعرّف بعضهم على بعض كيف وجدت هذه المعارف؟ كيف وكيف... أسئلة كثيرة تتسلسل إلى أن ينقطع التسلسل برجوعها إلى الله جل وعلا.

لولا أن الله جل وعلا أوجد هذه الأسباب وهيأها لما وصلت إلى فعل هذا الأمر الذي تريد فعله، إذا علمت هذا فوضت أمورك إلى الله جل وعلا وعلمت أن الأسباب والأعمال التي تقوم بها إنما هي من توفيق الله جل وعلا لك، لأنك تعلم أنك لست مستقلا بفعل هذا السبب، وليس السبب أيضا مستقلا بإيجاد هذا الأمر الذي عملته حتى التوكل، ولذلك قال الله جل وعلا:﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، فجعل شرط كون الله جل وعلا حسبا للعبد وكافيه أن يكون متوكلا على الله. فأنت حينما تتوكل على الله جل وعلا وتفوض أمورك له وتعتمد عليه فإنك حينئذ تفعل سببا من الأسباب ليس إلا.

فالأسباب مطلوبة وتعطيلها فساد، لكن الاعتماد عليها شرك، وأما هي من حيث هي؛ فهي مطلوبة، لأن الله جل وعلا طلبها بل وجعل الأسباب شرطا لحصول بعض سننه الكونية، فأنت لو جئت إلى أرض قاحلة وجلست عندها وقلت أنتظر أن يخرج لي من هذه الأرض عنب ورمان لضحك الناس عليك ويقولون لا بد من فعل السبب الذي من أجله أو الذي به تخرج هذه الأشياء؛ فاحرث الأرض واسقها وضع فيها البذر وارعها ثم انتظر بعد ذلك.

ولو قال إنسان أنا لا أتزوج وأريد ولدا نقول هذا تعطيل للأسباب وتعطيل للسنن الكونية، فنفي الأسباب ضلال، لأنه بتعطيل الأسباب تُعطّل الشرائع، فالشرائع سبب لدخول الجنّات وتعطيلها نقص في العقل، فما من أحد إلا ويعمل، فالله جل وعلا رتب المسببات على أسبابها فوجود المُسبَب يكون في وجود المسبِب، لكن لا يجوز لنا أن نعتمد عليها إنما نعتمد على الله جل وعلا في حصولها ولذلك قال ﷺ: (اعقلها وتوكل). والذين جاءوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم ير معهم زادا قال: ((مَن أنتم، قالوا: المتوكلون، قال: أنتم المتواكلون ولستم المتوكلين)) لأن التوكل: يقتضي أن تفعل الأسباب.

وما ورد عن بعض العلماء أو بعض العُبّاد من أنه دعا إلى ترك الأسباب فهذا لا يخلوا من حالين:

الحال الأولى: أن يكون مخطئًا في قوله وأنت تعلم أن في العُبّاد من ليسوا بعلماء، لكن غلا فيهم من غلا ونقل أقوالهم واستحسنوا بعض ما هم عليه فهؤلاء غلطوا وظنوا أن فعل الأسباب ينافي للتوكل.

الحال الثانية: أن يكون لهم مقصد وهو أنهم حينما دعوا إلى ترك الأسباب، دعوا إلى ترك الاعتماد عليها وهذا هو الظن بهم، لا أنهم يدعون إلى ترك الأسباب كلية، لأنه كما تقدم ترك الأسباب كلية تنقّص بالشرع ونقص بالعقل فالإنسان يفعل الأسباب ويتوكل على الله جل وعلا.

الحلقة ٢٧:

الثمرة الثانية:

أن العبد لا يعجب بفعل نفسه، يقول أهل العلم أن العُجْبَ شرك بالنفس، فإذا أعجب الإنسان بعمله فقد أشرك بنفسه. إذا نظرنا إلى الأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان من العبادات بجميع أنواعها وسألنا أنفسنا **هل نحن الذين فعلنا هذه الأمور من غير إعانة؟ لا يمكن أن يجيب أحد بهذه الإجابة إلا القدرية** وهم كما تقدم ضُلّال وبينا الرد عليهم فالعبد لا يمكن أن يعمل إلا بإعانة الله جل وعلا، فأنت حينما تصلي مثلا صلاة الضحى فالله جل وعلا هو الذي وفقك لأداء هذه الصلاة فكيف تعجب بنفسك وأداء الصلاة توفيق من الله جل وعلا، إذا قبلها منك فقبولها منَّةٌ من الله جل وعلا فأنت تعلم تقصيرك في العبادة مهما عملت، وإذا أدخلك الله جل وعلا الجنة بسببها فهي منّةٌ منه جل وعلا ولذا قال الله جل وعلا: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فالمنَّة لله جل وعلا وحده، الذي جعلك قَادراً ووفقك للعمل وهداك إليه وقبله منك، فكيف تعجب بنفسك؟! **هذا يورثك أمراً مهماً وأمراً كبيراً وهو الذلة لله جل وعلا والاطِّراح بين يديه والانكسار لعزته جل وعلا. ويفيدك أمراً آخرَ أيضا وهو الاستكثار من العبادة** فإذا كنت لم تقم بهذا مستقلا وإنما بإعانة الله جل وعلا لك وبتوفيقه لك فإنك تعلم ضعفك وتعلم حاجتك إلى العبادة وحينئذ تستكثر منها.

فالإيمان بالقدر يطرد هذا الإعجاب، ولهذا وجدنا سلف هذه الأمة لا يعجبون بأفعالهم، بل هم كما وصفهم الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

رأيت لما أنه لم يعجب بنفسه صار يأتي بالعمل وهو يخشى ألا يُقبل منه، فإذا خشي ألا يُقبل منه ازداد بالعمل لأجل أن يسدد ما مضى من نقص.

أما المعجب بعمله إذا عمل العمل فأصابه شيء في دنياه كمرض أو موت ولد أو ذهاب مال ونحو ذلك تجده يمنّ على الله؛ ما الذي فعلته يا ربي حتى تعمل بي كذا وكذا؟! ألم أكن طائعاً؟! ألم أكن كذا؟! فهو قد أعجب بنفسه.

يحكى أن راهبا من بني إسرائيل كان في صومعته فأصاب الناس قحط شديد وكان قد بقي في صومعته أربعين عاما فأصاب الناس قحط شديد فدعا ودعا ودعا ولم يُستجب له، فلما دعا وأكثر من الدعاء ولم يُستجب له عاد إلى نفسه وقال إن لي أربعين عاما وأنا أعبد الله في هذه الصومعة وأنا منقطع عن الناس مترهب فلو أن الله جل وعلا لم يكن علي بغضبان لاستجاب لي فأنا عملت أموراً لم ترضِ الله جل وعلا فأرسل الله جل وعلا إليه رسولا أن رؤيتك لنفسك واستحقارك لها أعظم من عبادتك أربعين عاما.

فاحتقار النفس وازدرائها يفيد العبد الفائدة الكبيرة ولا يعني هذا القنوط من رحمة الله ولا اليأس من روحه، ففرقٌ ما بين الأمرين أنت تعمل وأنت ترى نفسك مقصرا وتعمل وأنت تزدري نفسك لكنك ترى رحمة الله جل وعلا وسعةَ مغفرته أعظم من ذلك كله وهذا هو الواقع أيها الإخوة، فالإنسان منا يعمل أعمالا هي موبقة ومهلكة له وربما يعمل الإنسان أعمالا كثيرة في طاعة الله لكن ما الذي تساويه هذه العبادات وهذه الطاعات وهذه القربات عند أقل نعمة أنعم الله بها جل وعلا عليك وليست بقليلة فنعمة واحدة من نعم الله جل وعلا لا يساويها أي عمل عملته.

فحينئذ تحتاج إلى رحمة الله جل وعلا وإلى مغفرته وإلى توفيقه، فإذا فهمت هذا عرفت فائدة الإيمان بالقدر وعرفت عظيم هذه الثمرة.

الثمرة الثالثة: ما يحصل للعبد من الطمأنينة والراحة النفسية، وذكر هذا الله جل وعلا في كتابه في قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، فالإنسان إذا آمن بالقضاء والقدر وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ سهلت عليه الأمور، فإذا أصابته سراء شكر الله جل وعلا وإذا أصابته ضراء صبر وهذه كلها خير كما ثبت ذلك في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) فتكون دائراً بين الصبر والشكر، أما من لا يؤمن بالقضاء والقدر، أو من عنده خلل في إيمانه بقضاء الله جل وعلا وقدره، كالحاسد الذي يحسد الناس تجده يتغيظ دائما وتجد قلبه يحترق وجسمه يختل وصحته تعتل نتيجة لأنه يرى الناس قد قدر الله جل وعلا لهم ما لم يقدره له فيحسدهم على ذلك وهذا من الأمور المذمومة. قال الله جل وعلا: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾. أما المؤمن فإنك لا تجد عنده هذا الأمر بل يفرح بالخير لإخوانه ولأمته.

الألفاظ الكونية والشرعية

هي من الأمور المهمة التي إذا عرفها طالب العلم فُتح له باب عظيم من أبواب الجمع بين النصوص. وذلك أنه جاء في كتاب الله جل وعلا وفي سنة رسوله ﷺ ألفاظ منقسمة ما بين كونية وشرعية، وهذه الألفاظ لها تعلقٌ بأمر الله وكلماته الكونية وكلماته الدينية الشرعية.

الحلقة ٢٨

فمن هذه الألفاظ التي جرى فيها هذا التقسيم:

القضاء في كتاب الله نوعان:

١. كوني قدري (فلما قضينا عليه الموت)(وقضي بينهم بالحق) فهذا الذي يقضى يوم القيامة هو قضاء كوني قدري، وليس قضاء دينيا شرعيا

٢. ديني شرعي (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا الله)

فالكوني حاصل لا محالة ولا ثواب فيه ولا عقاب أما الشرعي فقد يقع وقد لا يقع وهو مناط الثواب والعقاب

الحكم في كتاب الله نوعان:

١. كوني قدري (قال ربي أحكم بالحق) أي بفعل ما ينصر به الأولياء وفعل ما يخذل به الأعداء.

٢. ديني شرعي (ذلكم حكم الله يحكم بينكم)(إن الله يحكم ما يريد)

وقد يأتي اللفظ أحيانا ويراد به المعنيان: يراد به الحكم الكوني القدري ويراد به الحكم الديني الشرعي .مثل قوله تعالى (ولا يشرك في حكمه أحدا) فحكمه الكوني القدري لا يشرك الله جل وعلا فيه أحدا لأن الإشراك فيه إشراك في الربوبية والله جل وعلا هو الرب وحده فهو المتفرد في الحكم ولا يشرك في حكمه الديني الشرعي أحدا لان الإشراك فيه إشراك في الإلهية

الإرادة في كتاب الله:

١. كونية قدرية (فعال لما يريد)(وإذا أردنا أن نهلك قرية)(إن كان الله يريد أن يغويكم)(ونريد أن نمن على الذي استضعفوا في الأرض) ولا يقول قائل بان هذه إرادة دينية شرعية

٢. دينية شرعية (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)(والله يريد أن يتوب عليكم) فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا ولوقعت التوبة من جميع المكلفين

وهنا مسألةٌ يبحثها كثيرٌ من المتكلمين وكثيرٌ من الأصوليين

الحلقة ٢٩

هل الأمر والإرادة متلازمان ؟

١. القدرية (الأمر يستلزم الإرادة)

٢. الجبرية (الأمر لا يستلزم الإرادة)

٣. أهل السنة (الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية)فالله يأمر بما يريده شرعا ودينا ولكنه قد لا يريده كونا

مثل (أمر من لم يؤمن بالإيمان كفرعون) فالله أراد منه الإيمان شرعا ولكنه لم يرده كونا لذلك كفر

الكتابة في كتاب الله

١. كونية قدرية (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) فهذه الكتابة بمعنى القدر

(ولقد كتبنا في الزبور)وهذا واقع لا محالة بمعنى قدر أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون

(كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله) وهذه بمعنى القدر

٢-دينية شرعية (كتب عليكم الصيام)(حرمت عليكم أمهاتكم ... كتاب الله عليكم)(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) فالكتابة إذاً كتابتان كتابة كونية قدرية وهذا لا يختلف مقتضاها لا مناط ثواب ولا عقاب

٣-وكتابةٌ دينيةٌ شرعية وهي التي بمعنى الأمر هذه قد يعمل بها وقد لا يعمل. هي مناط الثواب والعقاب

الأمر في كتاب الله:

كوني قدري وهذا لابد أن يقع المأمور به . (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) (وكان أمر الله مفعولا) (وكان أمرا مقضيا) (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها)

الحلقة ٣٠

أمرنا مترفيها : هو الأمر الكوني وقيل هو الأمر الشرعي والمعنى هو أنا أمرناهم بالطاعة فخالفونا ففسقوا فدمرناها والصحيح الأول لـ:

أ. أن القول الثاني يلزم الإضمار ولا يصار إليه إلا عند عدم القدرة على تصحيح الكلام بدونه وهنا يمكن

ب.أن هذا القول يستلزم إضمارين هما إضمار الجار والمجرور بعد أمرنا (بطاعتنا) والثاني (فخالفونا)

ت.أن ما بعد الفاء هو المأمور به نفسه على الأصل وهنا (ففسقوا)

ث.أن سبب الهلاك هو الأمر المذكور ولا يكون الأمر بالطاعة سببا للهلاك

ج. أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال الرسل والرسل لا يرسلون إلى المترفين فقط

ح. أن إرادة الله إهلاك القرية يكون بعد إرسال الرسل فيأمر مترفيها قدرا بأن يفسقوا فيها فيهلكهم

١. أمر ديني شرعي / وهذا قد يقع وقد لا يقع (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)

الإذن في كتاب الله:

١. كوني قدري (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) أي بمشيئته وقدرته

٢. ديني شرعي (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم)(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)

الجعل في كتاب الله

١. كوني قدري (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيدهم سدا)(ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون)(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)

٢. فهذا الجعل جعلٌ كوني قدري لا يتخلف المجعول.., فالمجعول كائن وليس هو مناط ثوابٍ أو عقاب, ولا

٣. مناط أمر أو نهي..

٤. ديني شرعي (جعل الله الكعبة البيت الحرام) (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)

الكلمات في كتاب الله :

١. كونية قدرية (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل)

ومثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم(أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر)

فهذه كلماته الكونية , التي يخلق بها ويكون ولو كانت

الكلمات الدينية الشرعية التي يأمر بها وينهى, لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار فالنبي ﷺ قال : (التي لا يجاوزهن برٌ ولا فاجر)

ومعلوم أن الكلمات الدينية الشرعية يجاوزهن الفجار فلا يعملون بها.

٢. دينية شرعية (حتى يسمع كلام الله) وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم (واستحللتم فروجهن بكلمة الله)

٣. اجتمع النوعان (وصدقت بكلمات ربها وكتبة) بكلمات ربها أي الكونية وكتبه أي كلماته الشرعية

البعث في كتاب الله:

١. كوني قدري (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليواري سوأت أخيه)

٢. ديني شرعي (هو الذي بعث في الأميين رسولا) (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين)

الإرسال في كتاب الله

١. كوني قدري (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) (وهو الذي أرسل الرياح) فالإرسال هنا إرسالٌ كوني قدري لا يمكن أن يتخلف المرسل

٢. ديني شرعي (هو الذي أرسل رسوله)(إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم)

التحريم في كتاب الله

١. كوني قدري (وحرمنا عليه المراضع من قبل) المقصود موسى وحرم الله عليه المراضع لكي يرضع من أمه فموسى ليس مخاطبا بالشريعة لأنه وقتها صغير

(فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) فكان التيه في الأرض هو من تحريم الله عز وجل على بني إسرائيل أن يدخلوا تلك القرية

(وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)

ديني شرعي (حرمت عليكم أمهاتكم) (حرمت عليكم الميتة) (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) (وأحل الله البيع وحرم الربا)

• الإيتاء في كتاب الله

١. كوني قدري (والله يؤتي ملكه من يشاء) (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) (وآتيناهم ملكا عظيما)

فهذا الإيتاء هو إيتاء كوني قدري ومتعلقة كلمات الله تعالى الكونية القدرية

٢. ديني شرعي (وما آتاكم الرسول فخذوه) (خذوا ما آتيناكم بقوة)

اجتمع النوعان (يؤتي الحكمة من يشاء) فهو يؤتي الحكمة أمرا ودينا وإلهاما وتوفيقا)

فإنه يؤتيه من يشاء أمراً ودينا هذا يعني الإيتاء الديني الشرعي وتوفيقاً وإلهاماً يعني الإيتاء الكوني القدري...

الحلقة ٣٢

• الوحي في كتاب الله

١. كوني قدري (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا) وهذا هو الإلهام والهداية والإرشاد (وأوحى في كل سماء أمرها) (بأن ربك أوحى لها)

لأن النحل لا يخاطب بالشرائع وقد فسر العلماء عليهم رحمه الله هذا الوحي بالإلهام يقول الإمام مجاهد بن جبر رحمه الله: "ألهمناها إلهاما"..

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:" المراد بالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا}فصلت١٢

قول مجاهد رحمه الله :"ما أمر الله به وأراده"..

,ويقول السدي رحمه الله:" خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله",

ويقول قتادة رحمه الله:" خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها",

{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا... بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا }فقوله عز وجل بأن ربك أوحى لها يعني أوحى إلى الأرض ومعلومٌ أن الأرض لا تخاطب بالخطاب الشرعي

فلا تكلف التكاليف الشرعية وإنما تخاطب بالأمر الكوني القدري كما قال عز وجل : {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }يس٨٢

٢. ديني شرعي (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعد)

فهذا الغيب الذي أوحاه الله عز وجل لنبيه ﷺ لم يكن ﷺ وسلم يعلمه قبل هذا الوحي, فهذا وحي ديني شرعي يلزم المخاطبين الذين علموا به أن يصدقوه فهذا الوحي الديني الشرعي هو الوحي المتعلق بأفعال المكلفين

• السنة في كتاب الله

١. كونية قدرية (سنة الله في الذين خلو من قبل) (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) (سنة الله التي قد خلت في عباده)

الحلقة ٣٣:

٢. دينية شرعية (ويهديكم سنن الذي من قبلكم)سنن:أي شرائع

المتعلق منها في الثواب والعقاب وبأفعال المكلفين هي السنة الدينية الشرعية.

أما السنن الكونية القدرية فإنها تجري على العباد ليس لهم مقدورٌ على تركها

أما السنن الدينية الشرعية فقد يفعلها الإنسان وقد لا يفعلها, فمثلاً الإسلام هو من السنن الدينية الشرعية.., فالإنسان يخاطب بهذا الإسلام

• الإنزال في كتاب الله

١. كوني قدري (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) (يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا) (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) المعنى خلق وأوجد ، فقوله :{ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ}البقرة٥٩. يعني أن اليهود لما أنزل الله عز جل عليهم التوراة وأمرهم ونهاهم على لسان أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ,بدلوا وحرفوا القول الذي أنزله الله عز جل

٢. ديني شرعي (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) فهذا الإنزال أو التنزيل ديني شرعي وليس كما تقول المعتزلة ومن وافقها بأنه إنزالٌ كونيٌ قدري لأجل أن يجعلوا القرآن مخلوقاً, فيجعلوا إنزال القرآن كإنزال الثمانية أزواج وقد أجمع المسلمون على خلاف هذا القول وبينوا أن هذا القول قولٌ مبتدع,

(وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله)

الوهب في كتاب الله وهبان:

١. كوني قدري (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) بمعنى يعطي وهذا من هبته المتعلقة بخلقه وإيجاده, يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى ونفوذ تصرفه في الملك وفي الخلق لما يشاء والتدبير لجميع الأمور

٢. ديني شرعي (فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين)

(ووهبا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) " فهذه الهبة ليس متعلقها الخلق والإيجاد فهي إذاً هبة ٌ أو وهبٌ ديني شرعي .

الحلقة٣٤:

• الرزق في كتاب الله

١. كوني قدري (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم)

(وما من دابة إلا على الله رزقها) يدخل فيه الحلال والحرام ورزق كل أحد وقد يكون الرزق الحلال حراماً لوجود سبب من الأسباب كأن يكون البر مغصوباً أو مسروقاً أو غير ذلك فالاقتيات بالبر حلال ولكن التحريم طرأ عليه لهذا العارض , فالرزق الكوني القدري قد يكون حلالا وقد يكون حراما وهذا الرزق الكوني القدري يدخل فيه المؤمن والكافر بل يدخل فيه كل دابة تحتاج إلى الرزق

٢. ديني شرعي (ورزقني منه رزقا حسنا) هو النبوة والعلم وقيل الرزق الحلال ووجهه هذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يمتدحون بكثرة المال بل يمتدحون بالعلم والهدى من الله عز وجل

• الحياة في كتاب الله

١. كونية قدرية (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم) (إن الذي أحياها لمحيي الموتى) متعلقه بالخلق والإيجاد

٢. دينية شرعية (أومن كان ميتا فأحييناه) يقول الحافظ ابن كثير رحمة الله : "هذا مثلا ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا أي في الضلالة هالكا حائرا فأحياه الله أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه ووفقه لإتباع رسله "

(استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) يقول السدي رحمة الله : (فهو الإسلام أحياهم بعد موتهم- بعد كفرهم-) وقال مجاهد : (الحق) وقال قتادة: (القرآن) وهي ألفاظ متقاربة فالحياة هنا حياة دينية شرعية وليست حياة كونية قدريه .

• الإخراج في كتاب الله

١. كوني قدري (يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) (ثم يخرجكم طفلا)

٢. ديني شرعي (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات)

يقول ابن جرير رحمة الله تعالى (يخرجهم من الظلمات يعني بذلك يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان) ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى (يخبر تعالى انه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشرك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان يزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى طريق الكفر والإفك

• الدعاء في كتاب الله

١. كوني قدري (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده)

دعاء متعلقه الخلق والإيجاد

٢. ديني شرعي (والله يدعو إلى دار السلام) (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) . يقول البغوي رحمه الله : (والله يدعو إلى دار السلام ,يقول سميت الجنة دار السلام لأن من دخلها مسّلما من الآفات) وقيل المراد بالسلام التحية سميت الجنة دار السلام لان أهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم عليهم

الحلقة ٣٥:

• الإلهام في كتاب الله

١. كوني قدري

٢. ديني شرعي

اجتمع النوعان (فألهما فجورها وتقواها) يقول ابن زيد رحمه الله تعالى< جعل فيها ذلك > ويقول البغوي رحمه الله < يعني بتوفيقه إياها للتقوى > وهذا يبين أن الله عز وجل خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور وهذا هو التفسير الصحيح للأيه

فالإلهام الهام كوني قدري متعلقة الخلق والإيجاد والهام ديني شرعي فالإلهام الكوني القدري هو ما خلقه الله عز وجل في العبد والإلهام الديني الشرعي هو ما خوطب به العبد مما هو مناط ثوابه وعقابه فمن اهتدى و استجاب عُلم انه وافق الإهامين.

• الآية في كتاب الله

١. كونية قدرية (وجعلنا الليل والنهار آيتين) فقوله عز وجل ((وجعلنا الليل والنهار آيتين)) فهما آيتان كونيتان قدريتان وهما آيتان مخلوقتان ومثل ذلك إيه الخسوف والكسوف والشمس والقمر) (أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك) هو طلوع الشمس من مغربها وهي أية كونيه قدريه فطلوع الشمس من مغربها إيه كونيه قدريه ومثلها غيرها من الآيات مما هو من أشراط الساعة كالدجال والدخان و الخسوفات الثلاثة التي هي خسف في المشرق وخسف في المغرب وخسف في جزيرة العرب والدابة وغيرها فهذه كلها آيات كونية قدريه

٢. ديني شرعي (ما ننسخ من آية أو ننسها) (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق التزين في كتاب الله

• التزيين في كتاب الله عز وجل نوعان :

١/ تزيين كوني قدري متعلقة الخلق والإيجاد

٢/ وتزيين ديني شرعي

١. كوني قدري (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) (كذلك زينا لك أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم)

٢. ديني شرعي (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم)

٣. إذا المؤمن اجتمع فيه أمران : اجتمع فيه أن الله عز وجل زين الإيمان في قلبه بمعنى انه ألهمه ووفقه بحيث قبله وزين الإيمان له بحيث انه دعاه إليه ولطف به وجعل لهذا الإيمان ما يدعو إلى محبته وقبوله والى الرضا به مما جعل العبد يؤثر هذا الإيمان على الكفر ويكره الكفر والفسوق والعصيان فالعبد فاعل ومفعول به فهو فاعل من حيث انه رضي هذا الإيمان , ومفعول به من حيث أن الله عز وجل حببه إليه إلهاما وتوفيقا.

الحلقة ٣٦

• الهدى في كتاب الله

١. كوني قدري (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (والذي قدر فهدى)

يقول العلامة ابن القيم رحمة الله تعالى< والمعنى أعطاه من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خُلق له ثم هداه لما خلق له وهداه لما يصلحه في معيشته ومطعمه ومشربه و منكحه وتقلبه وتصرفه >هذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين ويكون نظير قوله ((قدر فهدى)),

٢. ديني شرعي (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده))) هداهم أي هدى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي فبهدى الأنبياء فاقتد واتبع واسلك سبيلهم فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام على دين واحد وعلى طريقه واحده فيما يدعون إليه وهو الدعوة إلى عباده الله عز وجل وان اختلفت الشرائع فالدين واحد لا خلاف بين أولهم وأخرهم

(بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) (أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين)

• التعليم في كتاب الله

١. كوني قدري (تعلمونهن مما علمكم الله) (خلق الإنسان علمه البيان) يعني تعلمون الجوارح التي تصطادون بها فهذه الجارحة التي يصطاد بها من كلاب الصيد أو الطير فإنها لابد لها من التعليم فهي تعلم وهذا المعلم علمه الله

• ديني شرعي (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) (علم القرآن)

التيسير في كتاب الله

١. كوني قدري (فسنيسره للعسرى) ثبت عن علي رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال ما منكم من احد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقيه أو سعيدة

٢. ديني شرعي (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين) (يريد الله بكم اليسر) فالتيسير الديني الشرعي مطلوب منا فإذا يسر الله جل وعلا علينا أمرا فإنه لا يجوز لنا أن نعسره ,

• القذف في كتاب الله

١. كوني قدري (وقذف في قلوبهم الرعب) قذف كوني قدري متعلق بالخلق والإيجاد لا بل الأمر

٢. ديني شرعي (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) (قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب) يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله : يخبر تعالى بأنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل

الحلقة ٣٧

• الكره في كتاب الله

١-كوني قدري (ولكن كره الله انبعاثهم) يقول ابن كثير رحمه الله / ولكن كره الله انبعاثهم أي ابغض أن يخرجوا معكم قَدراً فهذا الكره وهو كره الله جل وعلا انبعاث المنافقين هو من الكره الكوني القدري.

٢-ديني شرعي كقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) وأما الثانية وهي الكراهة الدينية الشرعية

فهذه الكراهة قد تقع وقد لا تقع وقد يوافقها العبد وقد لا يوافقها فإذا كره الله عز وجل أمرا دينا وشرعا فقد يقع وقد لا يقع فالمؤمن إذا كره الله أمرا وتركه فانه قد اجتمع فيه الأمران وهو تركه لهذا الأمر تحقيقا لما كره أمر الله عز وجل دينا وشرعا ووافق كراهته الكونية القدرية التي كرهت أن يفعل هذا العبد ذلك

• التحبيب في كتاب الله

١. كوني قدري (كقوله صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم النساء والطيب)

٢. ديني شرعي (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم)

• التفضيل في كتاب الله

١. كوني قدري (والله فضل بعضكم على بعضكم في الرزق) (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض)

٢. ديني شرعي (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض)

الحلقة ٣٨

• الرفع في كتاب الله

١. كوني قدري (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)،(رفع السموات بغير عمد ترونها)

٢. ديني شرعي (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم) (ورفع بعضهم درجات)

• التكريم في كتاب الله

١. كوني قدري (ولقد كرمنا بني آدم) (فأكرمه ونعمه) لا يقتضي حبا ولا تفضيلا ولا رفعه

• ديني شرعي كقول النبي صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام عندما يقول له المهدي صلي فيقول إن بعضكم على بعض أمراء تكرمت الله هذه الأمة) (كقول سلمه والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم)

التصريف في كتاب الله

١. كوني قدري (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا) (صرف الله قلوبهم) (كقول الرسول ﷺ يا مصرف القلوب)

٢. ديني شرعي (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد)

• التفصيل في كتاب الله

١. كوني قدري (وكل شيء فصلناه تفصيلا) (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقده منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)

٢. ديني شرعي (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون)

فهذه الألفاظ التي ذكرناها وهناك غيرها كثير هي من الألفاظ التي تنقسم إلى كونية قدرية وإلى دينية شرعية والعلم بها مهم جدا لطالب العلم وبخاصة من يتكلم في مسائل القضاء والقدر.

مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة

الحلقة ٣٩

أساس منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة هو اشتراط أن يكون الاستدلال شرعيا في دلائله ومسائله.

فالدلائل لا بد أن تكون شرعية والدلائل الشرعية هي ما كانت متلقاة من الشرع ومن الوحي وهو كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ، أهل السنة والجماعة لم يقدموا رأيا ولم يقدموا شيئاً على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ، فالله جل وعلا يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾، لذلك كانت عقيدتهم ثابتة وراسخة فعقيدة أولهم كعقيدة آخرهم لا تتغير ولا تتبدل وليس فيها اضطراب ولا اختلاف، لأن ذلك دليل التناقض والله جل وعلا يقول: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ والمناهج الأخرى والمذاهب التي لم تجعل دليلها كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ واختلفت وتفرقت إلى فرق عديدة وصاروا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون، أما أهل السنة والجماعة فعقيدتهم واحدة لأنها هي الدين الذي بعث الله تبارك وجل وعلا به أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، فكل الأنبياء دينهم واحد وعقيدتهم واحدة وكلهم يدعون إلى: (**عبادة الله تبارك وتعالى وحده وإخلاصها لله عزوجل**)، فالنبي ﷺ لما ذكر اختلاف الطوائف واختلاف الفرق وأخبر أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة قال: (**كلها في النار إلا واحدة؛ قيل ومَن هي يا رسول الله؟ قال: مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**) فالنبي ﷺ لم يذكر في جوابه أسماءَ وإنما ذكر وصفاً، فكل من كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو من الطائفة الناجية وهو من الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خذلها حتى يأتي أمر الله وجل وعلا.

أهل السنة والجماعة اعتمدوا الأصلين: كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ وهذا هو الذي أمر الله عز جل به فالله جل وعلا يقول: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ فأمرنا الله تبارك وتعالى باتباع ما أنزل، واتباع ما أنزله الله وجل وعلا ليس مقصورا على شيء دون شيء وإنما هو في الأمور كلها ومن أعظمها العقائد، ويقول الله جل وعلا: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾، ويقول جل وعلا: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، فالعقائد والأحكام والمعاملات والأخلاق وغيرها كلها يجب أن تكون مستندة إلى كتاب الله جل وعلا وإلى سنة رسوله ﷺ، والعقيدة أمر من الأمور التي لا ينبغي للناس أن يتساهلوا في شأنها وأن يتهاونوا بها لأن بها يدخل الإنسان في الإسلام وبفسادها أو فقدانها يخرج منه يقول النبي ﷺ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**). والتسليم لله جل وعلا ولرسوله ﷺ ينبغي أن يكون مُطلقاً، فلا يؤمن الإنسان ببعض ويكفر ببعض يقول الله جل وعلا في شأن اليهود: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾، ويقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ونكفر ببعض ويريدون أَن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**﴾، فالإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه هذا كفر، والقول بأن العقائد لا يصح أن يكون مستندها الكتاب والسنة قول فاسد وهو قول أهل الضلال؛ فإذا كنا لا نأخذ

بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في العقائد فكيف يكون التسليم؟! وكيف يكون الإيمان؟! فالعقائد مستندها النص الشرعي العقل والفطرة والمراد العقل الصحيح، والفطرة السليمة من الأهواء والشبهات لا يمكن بحال من الأحوال أن تتعارض مع الشرع، وكما أنه يستحيل أن يتعارض دليلان نقليان فكذلك **يستحيل أن يتعارض دليل نقلي مع دليل عقلي بل العقل والنقل متفقان** ولهذا من سلّم للنص سَلم عقله ووجدت عقله لا يخالف النص الذي آمن به، وأما من كان عنده ارتياب وشك فإنك تجد عقله يفتح له أبوابا كثيرة من الخيالات ومن الأمور المستحيلة. فأهل السنة والجماعة أعملوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في المسائل والدلائل، فالمسائل التي هي مسائل الاعتقاد يستدل عليها بالدلائل، وهذه الدلائل يجب أن تكون مأخوذة من كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ، **يقول الإمام محمد بن شهاب الزهري -رحمه الله-:** (من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التسليم) **ويقول الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-**: (السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هي الاتباع وترك الهوى).هذه هي السنة، وهذه هي طريقة أهل السنة، **ويقول ابن سيرين -رحمه الله-**: (كانوا يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الأثر)، يعني أنهم يرون أنهم لا يزالون على الطريق وهو النهج الصادق (الطريق المستقيم) ما كانوا على الأثر، ومتى ما تركوا الأثر خرجوا عن الطريق المستقيم إلى طرق معوجة. **ويقول ابن عبد البر -رحمه الله-:** (ليس في الاعتقاد كله من صفات الله جل وعلا وأسمائه إلا ما جاء منصوصا من كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت الأمة عليه). وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يُسلّم له ولا يُناظر فيه، وأهل السنة والجماعة لا يفرقون -كما يفرق غيرهم- في مسائل الاعتقاد فيجعلون بعضاً يستدل عليه بالعقل وبعضًا يستدل عليه بالنقل، بل هم يجعلون الجميع من باب واحد وهو الاستدلال على مسائل الاعتقاد كلها بالنقل، ولا يعني هذا الكلام أن العقل معطل لا يمكن أن يدرك شيئا، لا؛ بل العقل يمكن أن يثبت بعض الأمور لكنه لا يستقل، فإذا أثبت العقل أمرا ما، طلبنا عليه شاهدَين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالمقصود أن مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة هما: كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ.

الحلقة ٤٠

وهذه الأمة لا يمكن بحال من الأحوال أن تُجمع على ضلالة لأن الله جل وعلا يقول: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾. والحفظ يقتضي عصمة الأمة جميعا من أن تنسب إلى دين الله جل وعلا وشرعه وكتابه وسنة رسوله ﷺ ما لم يأذن به الله. فإذا أجمعت الأمة على شيء علمنا أن الأمة لم تجتمع على شيء يخالف كتاب الله أو يخالف سنة رسوله ﷺ، وإنما لا بد أن يكون بهذا الإجماع مستند من كتاب الله جل وعلا ومن سنة رسوله ﷺ وسنة رسول الله ﷺ حق يجب اتباعها، والنبي ﷺ هو المبين عن الله جل وعلا وهو المبلغ عنه يقول الله جل وعلا: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، فأهل السنة والجماعة يعملون بالوحيين جميعاً وأهل الضلال ربما تركوهما جميعا وربما أخذوا ببعض وتركوا بعضا، كحال من يأخذ بالقرآن ويترك سنة النبي ﷺ، فحال هذا هو أنه لم يأخذ بالقرآن وإن زعم ذلك لأن الله جل وعلا قال: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ فإذا كان يزعم أنه يأخذ بالقرآن ولا يأخذ بسنة النبي ﷺ فكيف سيتبعه؟! وآخرون زعموا أن النصوص إنما يُستدل بها على الأحكام وأما العقائد فلا يجوز أن يستدل عليها بالشرع أي: -**بالسمع والنقل**- وهؤلاء متناقضون **لأنه ما من عمل من الأعمال إلا ولا بد أن يسبقه اعتقاد**؛ لأن عمل أهل الإسلام لا بد له من نية وهذه النية متضمنة للاعتقاد، فلا يمكن أن يكون عمل يراد به وجه الله وهو مجرد عن النية، يقول النبي ﷺ: (**إنما الأعمال بالنيات**)، فهذا تفريق بين متماثلات، وطوائف تقول نعمل بالسنة لكن بشرط أن تكون السنة سنة متواترة

لا أن يكون خبرها من قبيل الآحاد. **والمتواتر عند أهل المصطلح**: (ما رواه جماعة عن مثلهم يستحيل تواطؤهم على الكذب وأسندوه إلى شيء محسوس) فهذه الطوائف تقول: (**لا يجوز لنا أن نستند في عقائدنا على أخبار الآحاد وهي ما سوى المتواتر ولو كان الخبر صحيحا**)، وهؤلاء المفرّقة فرقوا في العمل بخبر الآحاد بين العمل والاعتقاد فقالوا بأن ما كان من باب الاعتقاد فإنه لا يجوز أن يستدل عليه بخبر آحاد وما كان من باب العمل فيجوز أن يؤخذ بخبر الآحاد، **وهذا قول باطل لأنه يلزم منه أن يكون هناك عمل بلا اعتقاد وهذا أمر لا يجوز للمسلم أن يعتقده** لأن كل عمل من الأعمال لا بد أن يسبقه اعتقاد، إما أن يعتقد إباحته أو كراهته أو تحريمه أو استحبابه أو أن يعتقد وجوبه. فلو أن إنساناً قال: سأصوم لكن لا أعتقد وجوب الصوم، سأصلي لكن لا أعتقد وجوب الصلاة نقول لو فعل مثل هذا لكان كافرا مع أنه صام وصلى، لكن مع هذا لا يكون مؤمنا فالعمل لا بد من اعتقاد يسبقه ولذا قال النبي ﷺ: (**من صام رمضان إيمانا واحتسابا**) فالاعتقاد لا بد للعمل منه، فالتفرقة إذن بين مسائل الاعتقاد ومسائل العمل في الاستدلال تفرقة خاطئة وأخبار الآحاد طريق شرعي صحيح متى ما صح الخبر عن رسول الله ﷺ. مما يدل على أن خبر الآحاد مقبول شرعا :

﴿رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ومعلوم أن الطائفة من الجيش يمكن أن تتواطأ على الكذب ومع ذلك قال الله جل وعلا: ﴿**فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا**﴾،

٢/ **والنبي ﷺ أرسل معاذاً إلى اليمن** وأمره أن يخبرهم بأوّل الأمر وآخره وهو التوحيد فأمره النبي ﷺ: (أن يخبرهم بأن عليهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا قالوا ذلك أمرهم بالصلاة فإذا قالوا ذلك أمرهم بالزكاة)، ولم يقل أهل اليمن ولم يقل الصحابة رضوان الله عليهم ولم يقل سيد هؤلاء كلهم (محمد ﷺ) **بأن هذا خبراً واحداً فلا يجوز لكم أن تعتقدوه**، بل أمر النبي ﷺ معاذا أن يذهب إلى اليمن وكانت بذلك الحجة من رسول الله ﷺ على أهل اليمن. فلو أن أهل اليمن ما قبلوا قولَ رسول رسول الله ﷺ لقامت عليهم الحجة بذلك، وهذا الأمر أمر في الاعتقاد، كذلك

٣/ **كان النبي ﷺ يرسل الرجل والرجلين إلى ملوك العرب وغيرهم يدعوهم إلى عبادة الله جل وعلا وحده**، وإلى ترك الشرك والكفر، وتقوم بذلك حجة رسول الله ﷺ عليهم، فلو كان كما يزعم المتكلمون لا يقبل خبر الآحاد في الاعتقاد لما قامت الحجة على هؤلاء، والنبي ﷺ أرسله الله جل وعلا حجة على الخلق أجمعين ومعلوم أن هذا الحجة -وهو رسول الله ﷺ- يدعو فلانا وفلانا من الناس إلى دينه، يعني: أن هؤلاء الأقوام يدعون غيرهم إلى دين النبي ﷺ وهم آحاد ومع ذلك تقوم الحجة عليه

وقبول أهل السنة والجماعة لأحاديث الآحاد لا يعني عندهم قبول خبر كل أحد، بل هم لا يقبلون إلا ما صح عن رسول الله ﷺ، فإذا كان الراوي مقبولَ الرواية فلا فرق في قبول روايته بين كونها في أحاديث العقائد أو أحاديث الأحكام، بل هو مقبول الرواية مطلقا. يقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي-رحمه الله-: (إذا حدَّث الثقة عن الثقة حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ) ويقول: (لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد) والإمام أحمد -رحمه الله- سُئل فقيل له: (هاهنا إنسان يقول إن الخبر يوجب عملا ولا يوجب علما) فعابه الإمام وقال: (ما أدري ما هذا). ويقول حافظ المغرب ومحدثها الإمام ابن عبد البر -رحمه الله-: (ما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يُسَلَّم له ولا يناظر فيه) ويقول الإمام ابن حزم عليه رحمه الله: (خبر الواحد الإمام ابن حزم عليه رحمه الله: (خبر الواحد العدل عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به موجب للعمل والعلم معا))

المفردات الإضافية

العرش والكرسي

١ أدلة إثبات العرش:

الأدلة من القرآن :

قال تعالى: (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)

وقال تعالى: (...رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ..)

وقال تعالى: (...ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ..)

وقال تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)

وقال تعالى: (...لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)

وقال تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)

وقال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا..)

وقال تعالى: (...وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)

وقال تعالى: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ..)

الأدلة من السنة :

الدليل الأول :دعاء الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم).

الدليل الثاني :عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن).

الدليل الثالث: روى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام). ورواه ابن أبي حاتم ولفظه: "مخفق الطير سبعمائة عام"

٢ وصف العرش :

ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش **فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، والفلك التاسع**

وهذا ليس بصحيح للآتي:

أولا: لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال ﷺ: (فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور)

ثانيا: العرش لغة : عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس :(**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**) وليس هو فلكاً، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات.

فمن شعر أمية ابن أبي الصلت :

مجدوا الله فهو للمجد أهـــل
ربنا في السمـــاء أمســـى كبيـرا
بالبناء الأعلى الذي سبق الخلق
وسوى فوق الســـماء ســـريرا
شرجـــــعا لا ينالـــه بصـــر
العين ترى دونه الملائك صـورا

الصور هنا: جمع أصور، وهو : المائل العنق لنظره إلى العلو. والشرجع: هو العالي المنيف.

والسرير : هو العرش في اللغة.

ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، الذي عرّض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:

شهدت بأن وعد الله حـــق
[وأن] النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف
وفوق العرش رب العـالمينا
وتحمـله ملائكة شـــــداد
مـــلائكة الإله مســـــومينا

وأما من حرّف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)، وقوله: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟!، وكان مَلكه على الماء!، ويكون موسى عليه السلام آخذاً من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!

٣ الكرسي:

الدليل من القرآن: قال تعالى: (**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**) وأختلف فيه على أقوال :

القول الأول: وينسب الى ابن عباس والمحفوظ عنه:كرسيه علمه،

القول الثاني: قيل هو العرش، والصحيح أنه غيره

القول الثالث: عن ابن عباس، أنه قال: **الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى**. وهذا هو الراجح

قال السدي: السماوات والأرض في جوف الكرسي بين يدي العرش. وقال ابن جرير: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض".

ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن، والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم. وإنما الكرسي كما قال غير واحد من السلف: (**بين يدي العرش كالمرقاة إليه**).

٤ **استغناء الله** تعالى عن العرش وما دونه:

أما قوله: (**وهو مستغن عن العرش وما دونه**).

فقال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**).

وقال تعالى: (**وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**).

وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، **ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش و ما دون العرش، ليبين الله أن خلقه للعرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته.**

و كون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي، محيطاً به، حاملاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه.

مثال: انظر إلى السماء في علوها واستقرارها غير محتاجة إلى الأرض ولا مماسة لها مع أنها فوقها، فالرب تعالى أعظم شأناً وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل إليه، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له. وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق. ونفاة العلو -أهل التعطيل- لو فصلوا بهذا التفصيل، لهدوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلوا عن سواء السبيل. والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك -رحمه الله-، لما سئل عن قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وغيرها، كيف استوى؟ فقال الاستواء معلوم، والكيف مجهول. ويروى هذا الجواب عن أم سلمة موقوفا ومرفوعا إلى النبي ﷺ

إثبات العلو لله تعالى

وهو كون الله تعالى فوق المخلوقات

قال تعالى: (**وهو القاهر فوق عباده**)

وكقوله تعالي: (**يخافون ربهم من فوقهم**)

وقال ﷺ في حديث الأوعال: (والعرش فوق ذلك، والله فوق ذلك كله).

وقد أنشد عبد الله بن رواحة شعره المذكور بين يدي النبي ﷺ، وأقره على ما قال: وضحك منه.

وكذا أنشده حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله:

شهدت بإذن الله أن محمداً *** رسول الذي فوق السماوات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كليهما *** لـــه عمل من ربـه مـتقبل

وأن الذي عادى اليهود ابن مريم *** رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

وأنا أخا الأحقاف إذ قام فيهم *** يجاهد في ذات الإله ويعدل

فقال النبي ﷺ: وأنا أشهد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: "لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي سبقت غضبي" وفي رواية : تغلب غضبي.

. .وروى ابن ماجه عن جابر يرفعه ، قال : بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا إليه رؤوسهم ، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ،وقال : يا أهل الجنة ، سلام عليكم ، ثم قرأ قوله تعالى :سلام قولاً من رب رحيم .فينظر إليهم ، وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه

وروى مسلم عن النبي ﷺ، في تفسير قوله تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) بقوله: أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. والمراد بالظهور هنا: العلو. ومنه قوله تعالى: (**فما اسطاعوا أن يظهروه**)، أي يعلوه. فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته، واسمان لعلوه وقربه.

وعن زينب رضي الله عنها، أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

وعن عمر رضي الله عنه: أنه مر بعجوز فاستوقفته، فوقف معها يحدثها، فقال رجل : يا أمير المؤمنين، حبست الناس بسبب هذه العجوز؟! فقال : ويلك! أتدري من هذه؟ امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة التي أنزل الله فيها: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ).

وروى عن ابن عباس في قوله: (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ)، قال: ولم يستطع أن يقول من فوقهم، لأنه قد علم أن الله سبحانه من فوقهم. ومن سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف، وجد منه في إثبات الفوقية ما لاينحصر.

١ **أنواع الأدلة** المثبتة لعلو الله تعالى:

النصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، تقرب من عشرين نوعاً:

الأول: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة (من) المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى : (**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**).

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: (**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**).

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**...)، وقوله ﷺ: ((يعرج الذين باتوا فيكم (أي من الملائكة) فيسألهم (الله..))...الخ.

الرابع: التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**...).

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: (**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**...) وقوله: (**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**...).

السادس: التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتًا وقدراً وشرفاً، كقوله تعالى: (**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**)، (**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**).

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: (**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**). وكقوله: (**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**) (**تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**). (**تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**...). (**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**). (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**).

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: (**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ**...). (**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ**...). ففرق بين من له ملائكته عموماً وبين من عنده وعبيده خصوصاً. وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: "**أنه عنده فوق العرش**".

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، كقوله: (**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**...). وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين:

الأول: إما أن تكون (في) بمعنى (على).

الثاني: وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة (على) مختصاً بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة (ثم) الدالة على الترتيب والمهلة، (**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**).

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ: "إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً". **والقول بأن العلو قبلة الدعاء -فقط- باطل بالضرورة والفطرة**، وهذا يجده من نفسه كل داع.

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسًا إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم به وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالمجمع الأعظم (في خطبة عرفة) الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: "أنتم مسؤولون عني، فماذا أنتم قائلون؟" قالوا: (نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت)، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلاً: "اللهم أشهد". فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: "اللهم أشهد"، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين.

الرابع عشر: التصريح بلفظ (أين): كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عن

المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلا بوجه -حين سأل الجارية-: "أين الله؟"، في غير موضع.

الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء، ليطّلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: **(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا)**. فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبته فهو موسوي محمدي.

السابع عشر : إخباره ﷺ: أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرات.

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى، من الكتاب والسنة، وإخبار النبي ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، فلا يرونه إلا من فوقهم، كما قال ﷺ: "بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: (**سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**). ثم يتوارى عنهم ، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم".

ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طرد الجهمية الشقين (أنكروا العلو والرؤية)، وصدق أهل السنة بالأمرين معاً، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو (وهم الأشاعرة) مذبذباً بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء! وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات.

من شُبه المبتدعة نفاة العلو والفوقية لله تعالى:

ومن تأول فوق، بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم؛ فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة، وتشمئز منه القلوب الصحيحة! . فإن قول القائل ابتداء: الله خير من عباده، وخير من عرشه؛ من جنس قول: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله ﷺ أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض!. **وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه! فكيف يليق بكلام الله،** الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً؟!.بل في ذلك تنقص، كما قيل في المثل السائر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره *** إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

ولو قال قائل: الجوهر فوق قشر البصل وقشر السمك! لضحك منه العقلاء، للتفاوت الذي بينهما، فإن التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم. **بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجاً على مبطل**، كما في قول يوسف الصديق عليه السلام: (**أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**). وقوله تعالى: (**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ...**). (**وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**). وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن **ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه:**

الأولى: فوقية القهر.

الثانية: فوقية القدر.

الثالثة: فوقية الذات. (وهذه التي خالف فيها المبتدعة نفاة العلو) ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص، وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه.

الدليل العقلي على علو الله تعالى :

أما ثبوته بالعقل فمن وجوه:

أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين؛ إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائنا (منفصلاً) من الآخر.

الثاني : أنه تعالى لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه (أي العالم) في ذاته أو خارجاً عن ذاته.

الأول باطل: **لأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً** .

الثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه (كمايقوله المبتدعة نفاة العلو من الأشاعرة): **يقتضي نفي وجوده بالكلية**، لأنه غير معقول! **فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه. والأول باطل فتعين الثاني**، فلزمت المباينة (وإذا ثبت أنه تعالى مباين منفصل عن خلقه فيلزم أن يكون فوق خلقه عالياً عليهم لأن جهة العلو هي أليق الجهات بالخالق جل وعلا).

الدليل الفطري على علو الله تعالى

أما ثبوته بالفطرة، فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو (على طريقة الأشاعرة)، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان!، فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟. قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل!. وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمداني حيرني!. أراد الشيخ: أن هذا أمر فطر الله عليه عباده، من غير أن يتلقوه من المرسلين، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو.

مسألة التكفير

اعلم -رحمك الله وإيانا- أن باب التكفير وعدم التكفير؛ باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم. فالناس فيه -في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم- على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية. فطائفة (المرجئة) تقول :لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين. وأيضاً: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواتره، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافراً مرتداً. والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور. ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم (بكل) ذنب، كما تفعله الخوارج. و(طائفة) **الخوارج في طرف: فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان. لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين! وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له (الخوارج والمعتزلة) الخلود في النار!.** وقول أهل السنة والجماعة: **أن الرجل يكون مؤمناً باطناً وظاهراً، لكن إن تأول تأويلاً أخطأ فيه، إما مجتهداً وإما مفرطاً مذنباً، فلا يقال. إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي**، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو **أن نكفر (القول والفعل) الذي دل الشرع على أنه كفر**: **فالأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول ﷺ، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر** (دون تعيين شخص معين، لأن الحكم على المعين لا بد فيه من النظر لانطباق شروط التكفير عليه وانتفاء الموانع عنه قبل إطلاق الحكم)، كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال: (بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة ، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها).

١ تكفير الشخص المعين

وأما الشخص المعين إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يُشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت. ولهذا ذكر أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب ، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيباً؟! فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك [الله] الجنة فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار". قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

٢ موانع التكفير:

لتكفير المعين ثلاثة موانع:

المانع الأول: يمكن أن يكون الشخص المعين بالتكفير **مجتهداً مخطئاً مغفوراً له.**

المانع الثاني: ويمكن أن يكون **ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص (أي جاهل بحكم القول أو الفعل المكفر)**

المانع الثالث :**ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله** .كما غفر للذي قال: (إذا مت فاسحقوني ثم ذروني ، ثم غفر الله له لخشيته). وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك. **لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه** ، فإن تاب وإلا قتلناه (**وهذه الأمور انما يملك فعلها ولي أمر المسلمين دون عامة الناس**).

تسمية بعض الكبائر كفراً في النصوص والرد على الخوارج والمعتزلة والمرجئة

الشارع سمى بعض الذنوب التي هي من الكبائر ولاتخرج من الدين كفراً

الدليل من القرءان:

قال تعالى: (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**).

الأدلة من السنة:

قال ﷺ: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر).

وقال ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض).

وقال ﷺ: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما).

وقال ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر).

وقال ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد).

وقال ﷺ: (بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة).

وقال :ﷺ: (من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد).

وقال ﷺ: (من حلف بغير الله فقد كفر). وقال ﷺ: (ثنتان في أمتي [بهم] كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت).

ونظائر ذلك كثيرة والجواب على هذه النصوص:

أن أهل السنة متفقون كلهم على أن **مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية**، كما قالت الخوارج، لأمور منها:

الأمر الأول: لوكفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! (وغيرها من الكبائر لأن الحدود مكفرات للفعل والكفر لا يمحوه إلا التوبة.

الأمر الثاني: قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: في كبيرة قتل النفس: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى...**)، إلى أن قال: (**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ...**) فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب. وكذلك في كبيرة قتال المسلمين قال تعالى: (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**). إلى أن قال: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**).

الأمر الثالث: قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات؛ أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار). **فثبت أن الظالم (فاعل هذه الكبيرة) يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه.** وكذلك ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "ما تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار، قال: المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد شتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار". وقد قال تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...). فدلّ ذلك على أن (مرتكب هذه الكبائر) في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته، ولوكان كافراً لما كانت له حسنات وأعمال صالحة يستوفي منها المظلوم حقه.

الأمر الرابع: **أن المقصود بالكفر والظلم والفسق والنفاق الوارد في النصوص السابقة هو الأصغر الذي هو من قبيل الكبائر ولا يخرج من الملة**، ومعرفة ذلك تتم بالنظر إلى نصوص الشرع الأخرى كما مر معنا في نصوص قتل النفس والاقتتال بين المسلمين. والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة نسميه مخلداً في النار، لكن قالت الخوارج:. نسميه كافراً، وقالت المعتزلة: فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظي فقط. وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب.على ذلك الذنب كما وردت به النصوص ، لا كما يقوله المرجئة من أنه لايضر مع الإيمان ذنب

نتمنى لكم النجاح والتوفيق في الدنيا والآخرة

كما نسعد باستقبال مقترحاتكم وملاحظاتكم عبر الواتس آب

0570700501